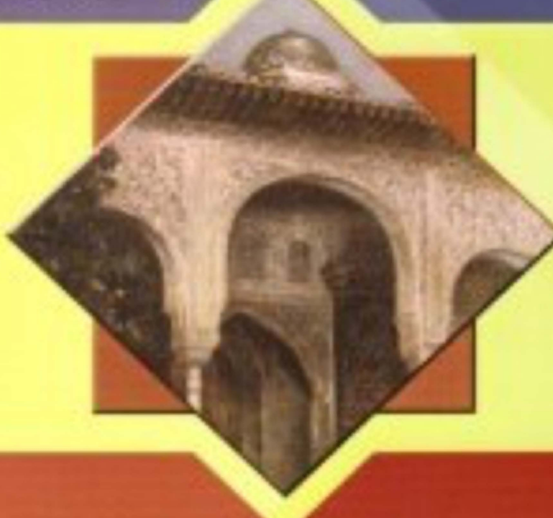


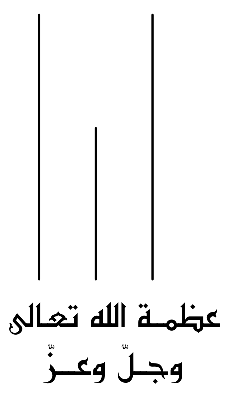
عظمة الله تعالى عز وجل

تأليف

د. محمد موسى الشريف





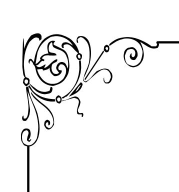

عظمة الله تعالى
عزّ وجلّ

الطبعة
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

عظمــة الله تعـالى وجـلّ وعــزّ

تأليف العُبيد الضعيف

محمد موسى الشريف



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤].

قال ﷺ:

«لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم»

فيا عجباً كيف يُعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة
وفي كل تسكينة شاهد

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

وقال ذو النون:

«سيدي!

إليك تقرب المتقربون في الخلوات، أنت الذي سجد لك الليل والنهار، والفلك الدوار، والبحر الزخار، وكل شيء عندك بمقدار، وأنت العلي القهار».

وقال أيضا:

«إلهي!

ما أصغي إلى حفيف شجر، ولا صوت حيوان، ولا خرير ماء، ولا ترنم طائر، إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك، دالة على أن ليس كمثلك شيء، وأنك غالب لا تغلب، وعدل لا تجور».

مقدمة

الحمد لله العظيم الشان، صاحب العظمة والسلطان، مبدع الأكوان، على هيئة جليلة وأنواع وألوان، سبحانه هو الواحد الديان، ماله شريك، ولا صاحبة، ولا ولد، ولا ثان.

خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأسبغ عليه نعماً باطنة وظاهرة للعيان، واصطفاه للعمران، وهيأه للإيمان.

وله من الخلائق أصناف وألوان، يحار فيها الفكر ويندهش لها الإنس والجان، مما لا يحيط به علم ولا يعبر عنه بيان، وغاية ذي العلم معه التسليم بالعجز والهوان.

وأشهد أن لا إله إلا الله، خضعت لعظمته رقاب العباد، وذلت لجبروته السبع الشداد، وشهد لملكوته البشر والجن والملائكة والنبات والجماد، ودان لرَهَبُوْته الطائع والنادُّ.

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الشاهد بعظمته، الواقف على قدر عظيم من قدرته، المخبر عن جلال صنعته، المبعوث بخير كتبه وأفضل شرعته، المصطفى المختار من خليقته ﷺ ما دام الليل والنهار، ودار الفلك الدوار، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، أما بعد:

فإن العظمة الإلهية هداية للأنفس البشرية، ودلالة لها على الطريق السوية، وحماية لها من الطرق الغويّة، من إلحاد وشك ونفاق وسوء

طويّة، قضى بذلك رب البريّة، وأخبرت بذلك العقول السوية، والفِطَر النقية.

فكم من شاكٍّ حائر هدته العظمة العظيمة، وأنقذته القوة الجليلة فعاد إلى الإيمان معترفاً، وبالهداية متصفاً، ومن معين الشرع مغترفاً.

وكم من عالم مغرور بعلمه ألجمه العلم الإلهيّ، وكم من متجبر متغطرس قهره الجبروت الرباني، وكم من مستعلٍ في الأرض خفضه العلو الصمدانيّ.

وكم من سادر في العصيان، بعيدٍ عن الرحمن، قريبٍ من الشيطان، أنقذته العناية الإلهية، وهدته شواهد الربانية، فعاد من الأصفياء الطائعين، والأولياء المختارين.

سبحانه وتعالى! ما عبدناه حق عبادته، ولا شكرناه حق شكره.

سبب تأليف هذا الكتاب:

وقد أردت من تسطير هذه الرسالة، وتدبيج هذه المقالة تحقيق جملة من الأمور، منها:

١ـ التقرب إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ ببيان جوانب من عظمته، وليس أحسنُ من هذا ولا أَجلُّ ولا أعظم.

٢ـ إيقاف أهل العصر على شيء من جليل قدرته، وعظيم صنعته، واستعنت على ذلك بجملة من الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وأقوال السلف والخلف المنيفة، ثم أتيت بشواهد من الأدب نظماً ونثراً، ومن أقوال علماء الكون المحدثين قدراً ليس نزراً، وذلك لأني أرى أن من أعظم أسباب هداية الحيارى، ورجوع العاصين، هو الوقوف على العظمة الإلهية، واستشعار القلوب الهيبة الربانية.

٣ـ بيان: أن هذه الأمة هي الأمة الوحيدة الباقية على الأرض ممن يحسن التعظيم لله، تعالى وبيان شيء من قدره الرفيع، فسائر أمم الأرض اليوم ضلت عن هذا بكفر وطغيان، أو ضلال وشرك وعصيان، إذ لا يعرف قدر عظمة الله تعالى إلا الله ـ جل جلاله ـ ومن أذن له بالحديث عن عظمته من رسله وأنبيائه، ونحن الأمة الوحيدة الباقية، ممن لنا في ذلك سند صحيح، وعلم فسيح، فالحمد لله على ذلك.

٤ـ ثم إن كنا كذلك؛ فهناك تبعات لا بد منها من طاعة لله تعالى، وإتباع لشريعته، وتعظيم لسنة نبيه ﷺ واحتكام له جل جلاله، وعمارة الأرض وفق سُننه، وهداية الأمم البعيدة عن سَننه، فعلى كل معظِّم لله حقاً أن يلحظ التبعات التي ذكرت، ويقوم بالواجب الذي إليه أشرت؛ إذ قد قامت عليه الحجة، واستبانت له المَحَجّة.

٥ـ ثم إنه إن عظمت النفوس مولاها ـ جل جلاله ـ تضاءل بجوار ذلك التعظيم كل شيء، فلم تعد ترى شيئاً ذا بال؛ إلا من حيث ارتباطه بالله تعالى ورجوعه إليه، أما الكفار والفجار فتنظر إليهم من عَل وبعزة، أو تدعوهم إلى المولى العظيم بإشفاق وحرص على الهداية.

والتعظيم لله تعالى يورث النظر الصحيح في الخلائق، وأنهم مربوبون ضعاف لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً، وهذا كله يبعد المسلم عن الذل والنفاق والتزلف، ويجعله قوياً عزيزاً، لا يحرص إلا على رضا مولاه، ولا يتحرك ولا يسكن إلا في سبيل هذه الغاية الجليلة.

هذا وقد أتيت على بحثي هذا في مباحث:

المبحث الأول: حشدت فيه آياتٍ دالةً على عظمته وجلاله.

المبحث الثاني: أوردت فيه أحاديث رسول الله ﷺ المبينة لهذه العظمة، وأتيت بأقوال أهل العلم إذا اقتضى المقام شرحاً وبياناً.

المبحث الثالث: أوردت فيه أقوال سلف الأمة، وخلفها ممن لهم كلام نفيس في هذا الباب.

المبحث الرابع: أوردت فيه أقوال بعض أهل العلم بالأكوان وما يسمونه بالعلم الطبيعي.

المبحث الخامس: أوردت فيه قول بعض أهل الأدب نظماً ونثراً، وجعلته خاتمة تلك المباحث، ونهاية هاتيك المطالب.

هذا ولم أترجم في هذه الرسالة للأعلام، ولم أتوسع في الهوامش، لأني لم أرد أن أخلط الدر النضيد بكلام العبيد، ولا الحديث عن عظمة الله بهوامش مثقلة مطولة تفوت المطلوب، والله أعلم.

هذا وإني لأرجو من الله تعالى من تصنيف ما صنفته الثواب، والأجر يوم الحساب، وأن أُدرَج ممن دَلّ على الله تعالى بكلامه، وإن كان بعيداً عنه بفعاله، والله المسؤول بتحقيق ذلك المطلوب، والعفو عن عبده كثير الذنوب، المليء بالعيوب.

وصل اللهم على البشير النذير، ذي القدر الخطير، والعمل الموفق الكثير، وآله الأطهار وأصحابه الأبرار، وسلم تسليماً كثيراً.

وكتبه

محمد بن موسى الشريف

mmalshareef@hotmail.com

www.altareekh.com

المبحث الأول

آيات دالات على عظمة الله تعالى جل جلاله

المبحث الأول
آيات دالات على عظمة الله تعالى جل جلاله

- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤].

- ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣﴾ [الأنعام: ١-٣].

- ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا

يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٩-٦٠].

- ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

- ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۢ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرّعد: ٨-١٠].

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرّعد: ١٢-١٣].

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

- ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١].

- ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النّحل: ٥٠].

- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤].

- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧﴾ [طه: ٥-٧].

- ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النُّور: ٣٥].

- ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٣ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦٤ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٦٥﴾ [النَّمل: ٥٩-٦٥].

- ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [لقمان: ٢٧-٢٩].

- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

- ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فُصِّلَت: ٩-١٢].

- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن: ٢٦-٢٧].

- ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرَّحمن: ٢٩].

- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: ١-٦].

- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣-٤].

- ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

المبحث الثاني

أحاديث للنبي ﷺ منبئة عن عظمة الله تعالى وجلّ وعز

المبحث الثاني
أحاديث للنبي ﷺ منبئة
عن عظمة الله تعالى وجلّ وعز

ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»[١].

ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم! مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»[٢].

ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله ـ عز وجل ـ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإٍ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبراً، تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة»[٣].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب القدر: باب حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم.

(٢) المصدر السابق: باب تصريف الله تعالى القلوب.

(٣) المصدر السابق: كتاب الذكر والدعاء والتوبة: باب الحث على ذكر الله تعالى.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إن لله تسعة وتسعين اسماً، من حفظها دخل الجنة، والله وتر، يحب الوتر». وفي رواية: «من أحصاها»[١].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم ـ عز وجل ـ وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟

قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك.

قال: فيقول: هل رأوني؟

قال: فيقولون: لا، والله ما رأوك.

قال: فيقول: كيف لو رأوني؟

قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً.

قال: يقول: فما يسألوني؟

قال: يقولون: يسألونك الجنة.

قال: يقول: وهل رأوها؟

قال: يقولون: لا، والله يارب ما رأوها.

قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟

---

(١) المصدر السابق: باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة.

قال: فمم يتعوذون؟

قال: يقولون: من النار.

قال: يقول: وهل رأوها؟

قال: يقولون: لا، والله يارب ما رأوها.

قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة.

قال: فيقول: فأُشهدكم أني قد غفرت لهم.

قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة.

قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم»[١].

ـ عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا، إذا أراد أحدنا أن ينام، أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول:

«اللهم! رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم! أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر» وكان يروي ذلك عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ[٢].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات: باب فضل ذكر الله عزوجل.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء: باب الدعاء عند النوم.

ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه:

«إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً، فإذا فُزِّع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق، ونادوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحقَّ»[١].

ـ عن عبدالله بن أُنيس رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديّان»[٢].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال:

«إذا قضى الله الأمرَ في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان يَنْفُذُهم ذلك، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحقَّ وهو العلي الكبير»[٣].

ـ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار: أنهم بينما هم جلوس ليلةً مع رسول الله ﷺ: رُمِيَ بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ:

ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذا رمي بمثل هذا؟

قالوا: الله ورسوله أعلم. كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم.

---

(١) صحيح الإمام البخاري: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ...﴾ [سبأ: ٢٣].

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.
ومعنى يَنْفُذُهم: أي يعمهم، وانظر «فتح الباري»: ٢٨/٢٤٧.

فقال رسول الله ﷺ: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا، تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يَقْرِفون فيه ويزيدون»[١].

ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك»[٢].

ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد!

إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع ثم يقول: أنا الملك.

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ «وما قدروا الله حق قدره».

---

(١) صحيح الإمام مسلم: كتاب السلام: باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.
ومعنى يقرفون: أي يخلطونه بالكذب. وانظر صحيح مسلم شرح النووي: ١٤/ ٢٢٧.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ...﴾ [صٓ: ٧٥].

وفي زيادة: فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له.[(١)]

ـ عن عمران بن حُصَين رضي الله عنه قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال:

«اقبلوا البشرى يا بني تميم».

قالوا: بشرتنا فأعطنا.

فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم».

قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟

قال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء...[(٢)].

ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكبر على وجهه في جنة عدن»[(٣)].

ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال:

«مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحامُ إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطرُ أحد

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: باب وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم.

(٣) المصدر السابق.

إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[١].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض»[٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«يد الله مَلْأى لا يَغِيضها نفقة، سحّاءُ الليلَ والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يَغِضْ ما في يده، وقال: عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[٣].

ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

«ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة، حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له، من ذا الذي يسألني فأُعطيَه، من ذا الذي يستغفرني فأغفرَ له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»[٤].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . . .».

(٢) المصدر السابق: باب قول الله تعالى: «ملك الناس».

(٣) المصدر السابق: باب قوله تعالى: «لما خلقت بيدي..».
ومعنى لم يغض: أي لم ينقص.
وسَحّاء: أي دائمة العطاء.
وأما الميزان فقد قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى: الميزان مثل والمراد القسمة بين الخلق، والله أعلم، وانظر «فتح الباري»: ٢٨/ ١٧٤.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين: باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذَرّةً، أو ليخلقوا حَبّةً أو شعيرة»[١].

ـ عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟

فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟

قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم»[٢].

ـ قال ﷺ في سجوده:

«سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»[٣].

ـ ومتواترٌ قوله ﷺ في ركوعه:

«سبحان ربي العظيم».

ـ وقال ﷺ:

«لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[٤]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قول الله تعالى: «والله خلقكم وما تعملون».

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه: باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الدعوات: باب الدعاء عند الكرب.

ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«يقول الله عز وجل:

يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيت، فاستغفروني أغفر لكم، ومن علم أني أقدر على المغفرة فاستغفرني بقدرتي غفرت له ولا أبالي.

وكلكم ضال إلا من هديت فاستهدوني أهدكم.

وكلكم فقير إلا من أغنيت فاسألوني أغنكم.

ولو أن أولكم وآخركم، وحيَّكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب من قلوب عبادي، ما نقص من ملكي جناح بعوضة، ولو اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد في ملكي جناح بعوضة.

ولو أن أولكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فسألني كل سائل منهم ما بلغت أمنيته، فأعطيت كلَّ سائل منهم ما سأل ما نقصني، كما لو أن أحدكم مر بشَفَة البحر فغمس فيه إبرة ثم انتزعها، كذلك لا ينقص من ملكي؛ ذلك بأني جواد ماجد، صمد، عطائي كلام، وعذابي كلام، إذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون»[١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وقال المحقق: حديث صحيح.
والجواد: كثير الجود، والماجد من المجد وهو سعة الكرم، والصمد: السيد المقصود في الحوائج.
والمراد بقوله تعالى: عطائي كلام وعذابي كلام مفسر بما بعده بقوله: إذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون، قال القاضي: يعني ما أريد إيصاله إلى عبد من عطاء أو عذاب لا أفتقر. أي لا أحتاج. إلى كد ومزاولة عمل، بل يكفي لحصوله ووصوله تعلق الإرادة به، وانظر «تحفة الأحوذي»: ٧/ ١٩٨.

ـ عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال: «ياعبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا.

يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم.

يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم.

يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أَكْسُكم.

يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً.

يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً.

يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيط[١] إذا أدخل البحر.

يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

---

(١) أي الإبرة.

قال سعيد: كان أبو إدريس الخولاني، إذا حدث بهذا الحديث، جثا على ركبتيه[١].

ـ قال رسول الله ﷺ:

«من قال: لا إله إلا الله والله أكبر، صَدَّقهُ ربه، وقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر.

وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، يقول الله: لا إله إلا أنا وحدي.

وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال الله: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي.

وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد.

وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال الله: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي. قال: ـ يعني النبي ﷺ ـ من قالها في مرض ثم مات لم تطعمه النار» رواه الترمذي عن أبي هريرة[٢] رضي الله عنه.

ـ عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ:

«العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني فيهما أدخلته ناري»[٣].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي ـ رحمه الله تعالى ـ في سننه، أبواب الدعوات: باب ما يقول العبد إذا مرض، والحديث صحيح، صححه الشيخ ناصر الألباني رحمه الله.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة: باب تحريم البر.

ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ قائماً على هذا المنبر ـ يعني منبر النبي ﷺ ـ وهو يحكي عن ربه ـ عز وجل ـ وقال:

«إن الله ـ عز وجل ـ إذا كان يوم القيامة جمع السماوات السبع والأرضين السبع في قبضته، ثم يقول: أنا الله الرحمن، أنا الملك، أنا القدوس، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز الجبار، أنا المتكبر، أنا الذي بَدَأْتُ الدنيا ولم تك شيئاً، أنا الذي أعيدها، أين الملوك؟ أين الجبابرة؟»(١)

ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ، قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، ورسول الله ﷺ يقول: هكذا بيده ويحركها، يقبل بها ويدبر بها: يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فَرَجَف برسول الله ﷺ، المنبر حتى قلنا: ليخرَّنَّ به(٢).

ـ عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية وهو على المنبر: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧] قال: «يقول الله: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا المتعال، يمجّد نفسه» قال: فجعل رسول الله ﷺ يرددها، حتى رَجَف به المنبر، حتى ظننا أنه سَيَخرُّ به(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أبو الشيخ الأصبهاني في «كتاب العظمة»: ٢/ ٤٤١-٤٤٢، والحديث صحيح بشواهده.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والحديث صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ والحديث صحيح.

ـ عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال:

سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟

قال: «نور أنى أراه»(١).

ـ عن عبدالله بن شقيق، قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته.

فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟

قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟

قال أبو ذر: قد سألت، فقال: «رأيت نوراً»(٢).

ـ عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال:

«إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ـ وفي رواية أبي بكر: النار ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»(٣).

ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع:

«إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه، ويرفع إليه عمل النهار بالليل، وعمل الليل بالنهار»(٤).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب في قوله عليه الصلاة والسلام: «نور أنى أراه» وفي قوله: «رأيت نوراً».

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: باب في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إن الله لا ينام..».
سيأتي تفسير السبحات.

(٤) المصدر السابق.

ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع، فقال: «إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط[(١)] ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره، ثم قرأ أبو عبيدة: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النَّمل: ٨] ذكر عبدة السجستاني قال: سألت عمرو بن أبي قيس ـ وكان قدم سِجِسْتان في تجارة ـ ما سبحات وجهه؟ قال: جلال وجه»[(٢)].

ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩] قال:

---

(١) قال المحقق: قال ابن الأثير في «النهاية»٤/ ٦٠: القسط: الميزان، سمي به من القسط: العدل، أراد أن الله يخفض ويرفع أعمال العباد المرتفعة إليه، وأرزاقهم النازلة من عنده، كما يرفع الوزان يده ويخفضها عند الوزن، وهو تمثيل لما يقدره الله وينزله، وقيل: أراد بالقسط: القسم من الرزق الذي يصيب كل مخلوق، وخفضه: تقليله ورفعه تكثيره.

(٢) أخرجه الإمام أبو الشيخ في «كتاب العظمة»، وإسناده صحيح، وقال المحقق: كتب في هامش النسخ الثلاث ما قاله ابن الأثير في النهاية في معنى «السبحات» وقال أبو عبيد الهروي في غريب الحديث ٣/ ١٧٣ في معناها:
«يقال في السبحة: إنها جلال وجهه ونوره، ومنه سبحان الله، إنما هو تعظيم الله وتنزيهه.
وقال ابن الأثير في النهاية ٢/ ٣٣: سبحات الله: جلاله وعظمته، وهي في الأصل جمع سبحة، وذكر له معاني أخرى ثم قال: «وأقرب من هذا كله أن المعنى: لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور».

(٣) أخرجه الإمام أبو الشيخ في «كتاب العظمة»: ٢/ ٤٧٩-٤٨٠، وصحح المحقق إسناده.

من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين[١].

ـ عن عبد الله عن النبي ﷺ قال:

«يجمع الله الأولين، والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء، ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله تعالى في ظلل من الغمام إلى العرش إلى الكرسي»[٢].

ـ عن كعب الأحبار ـ رحمه الله تعالى ـ قال: قال الله تعالى في التوراة:

«أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أُدبر أمور عبادي، ولا يخفى عليَّ شيء في السماء ولا في الأرض»[٣].

---

(١) أخرجه الإمام الذهبي في «العلو»: ١/ ٧٠٢. وإسناده حسن.

(٢) أخرجه الإمام الذهبي في «العلو»: ٢/ ٨٦٣، وقال: رواته ثقات.

بيان شيء من عظمة الله تعالى في خلقه الملك الكريم جبريل عليه السلام وسائر الملائكة

ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ:

«خُلِقَت الملائكة من نور، وخُلِق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»(١).

ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، في قوله ﷻ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجم: ١١] قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في حُلَّتي رفرف قد سَدَّ ما بين السماء والأرض(٢).

ـ عن مسروق قال:

كنت متكئاً عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقالت: يا أبا عائشة: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية.

قلت ما هن؟

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق: باب في أحاديث متفرقة.

(٢) أخرجه الإمام أبو الشيخ في «كتاب العظمة»: ٢/ ٧٦٧، وحكم على إسناده بالصحة. والرفرف: الديباج. الحرير. الحسن الصنعة. وانظر «النهاية في غريب الحديث والأثر»: ٢/ ٢٤٣.

قالت: من زعم: أن محمداً ﷺ رأى ربه؛ فقد أعظم على الله الفرية، قال وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين! أَنْظِرِيني ولا تَعْجَلِيني، ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التّكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النّجْم: ١٣].

فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «إنما هو جبريل عليه السلام لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء، ساداً عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض» فقالت: أو لم تسمع أن الله ﷻ يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشّورىٰ: ٥١].

قالت: ومن زعم: أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المَائدة: ٦٧].

قالت: ومن زعم: أنَّه يخبر بما يكون في غد؛ فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النَّمل: ٦٥](١).

ـ عن ابن شهاب قال: سمعت أبا سلمة رضي الله عنه قال: أخبرني جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ: أنه سمع النبي ﷺ يقول:

---

(١) المصدر السابق.

«ثم فتر عني الوحي فترة، فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قِبَل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعدٌ على كرسي بين السماء والأرض، فجُئِثْتُ[1] منه حتى هَوَيْتُ إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدّثر: ١-٥] قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان»[2].

ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» قال: رأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق[3].

ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ، جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت، ما الله به عليم.[4]

ـ قال: شقيق بن سلمة، سمعت ابن مسعود، يقول: قال رسول الله ﷺ:

«رأيت جبريل على سدرة المنتهى، وله ستمئة جناح».

قال: سألت عاصماً عن الأجنحة؟ فأبى أن يخبرني، قال: فأخبرني بعض أصحابه: أن الجناح ما بين المشرق والمغرب[5].

---

(١) أي خفت وذعرت وفزعت، وانظر «النهاية»: ١/ ٢٣٢.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق.

(٣) «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» والرفرف ـ هنا ـ البساط.

(٤) مسند الإمام أحمد، وقال الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية»: ١/ ٤٤: هذه أسانيد جيدة قوية انفرد بها أحمد.
والتهاويل: الأشياء المختلفة الألوان، وأصلها مما يهول الإنسان ويحيره، وانظر «النهاية»: ٥/ ٢٨٣.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وقال الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية»: ١/ ٤٤: هذه أسانيد جياد قوية انفرد بها أحمد.

ـ عن شقيق قال: سمعت ابن مسعود ﵁ يقول: قال رسول الله ﷺ:
أتاني جبريل في خُضرٍ معلقٍ به الدُّرُّ[١].

ـ عن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أَطَّت السماء وحق لها أن تَئِط، ما فيها موضع أربع أصابع، إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم على أو إلى الصُعُدات[٢] تجأرون[٣] إلى الله»[٤]

ـ عن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني لأرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أَطَّت[٥] وحق لها أن تَئِطّ، ما منها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وقال الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية»: ١/ ٤٤: هذه أسانيد جياد قوية انفرد بها أحمد.

(٢) قال المحقق: قال ابن الأثير: هي الطرق، وهي جمع صُعُد. المصدر السابق: ٣/ ٢٩.

(٣) قال المحقق: قال ابن الأثير: الجؤار: رفع الصوت والاستغاثة: جأر يجأر. المصدر السابق: ١/ ٢٣٢.

(٤) مسند الإمام أحمد، وهو صحيح.

(٥) قال المحقق: قال ابن الأثير: «أطت السماء وحق لها أن تئط» الأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل أصواتها وحنينها، أي إن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت، وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثَمّ أطيط، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقريب عظمة الله تعالى، انظر «النهاية»: ١/ ٥٤.
وأقول أنا محمد بن موسى الشريف: وما أدراه ـ عفا الله عنه ـ أنه ليس هناك أطيط؛ فعلم هذا عند الله تعالى.

ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله ﷻ، ولوددت أني كنت شجرة تُعْضَد»[(١)][(٢)].

ـ عن عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝١٦٤ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصَّافات: ١٦٤-١٦٦] قال: كان مسروق بن الأجدع يروي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: قال نبي الله ﷺ:

«ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم، فذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝١٦٤ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصَّافات: ١٦٤-١٦٦]»[(٣)]

ـ عن حسان بن عطية، قال:

«حملة العرش ثمانية يتجاوبونَ بصوت حسن رخيم، فيقول أربعة منهم: سبحانك وبحمدك على حلمك بَعْد علمك، ويقول أربعةٌ: سبحانك على عفوك بعد قدرتك» إسناده قوي[(٤)].

---

(١) قال المحقق: أي تقطع، يقال: عضدت الشجر أعضده عضداً، والعَضَد بالتحريك المعضود. المصدر السابق: ٣/ ٢٥١.

(٢) حكم المحقق بصحة الحديث.

(٣) وقد حكم المحقق بصحة إسناده.

(٤) أخرجه الإمام الذهبي في «العلو»: ١/ ٥٧١.

بيان شيء من
عظمة الله تعالى في خلق الجنة
وما أعده لأهلها فيها

ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«أُتيت بالبراق ـ وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه ـ قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة.

ثم عَرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بآدم ﷺ، فرحب بي ودعا لي بخير.

ثم عَرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة: عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكرياء صلى الله عليهما وسلم، فرحبا بي، ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من

أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، قال: فرحب بي ودعا لي بخير.

ثم عَرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: من هذا، قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه. قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإدريس ﷺ، فرحب بي، ودعا لي بخير، قال الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

ثم عَرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل. فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون ﷺ، فرحب بي، ودعا لي بخير.

ثم عَرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى ﷺ، فرحب بي، ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ، مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه.

ثم ذُهِبَ بي إلى سدرة المنتهى؛ فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال؛ قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي، تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، فَفَرَضَ علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة.

فنزلت إلى موسى عليه السلام، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم.

قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب! خفف على أمتي، فَحَطَّ عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

قال: فلم أزل أرجع بين ربي عز وجل وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد! إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة.

قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه»[١].

ـ قال ابن شهاب: وأخبرني ابن حزم، أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان: قال رسول الله ﷺ:

«ثم عَرَج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صَرِيفَ الأقلام»[٢].

ـ قال ابن حزم وأنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب والإسراء والمعراج لرسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

(٢) قال ابن الأثير: أي صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله تعالى ووحيه، وما ينتسخونه من اللوح المحفوظ. «النهاية»: ٣/ ٢٥.

«ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، قال: فرجعت بذلك حتى أمُرَّ بموسى عليه السلام فقال موسى: ماذا فرض ربك على أمتك؟

قال: قلت: فرض عليهم خمسين صلاة.

قال لي موسى: فراجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك.

قال: فراجعت ربي فوضع عني شطرها.

قال: فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته.

قال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك.

قال: فراجعت ربي، فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لدي.

قال: فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك.

فقلت: قد استحييت من ربي.

قال ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»(١).

ـ عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس الأشعري، عن أبيه عن النبي ﷺ قال:

«الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً، في كل زاوية منها للمؤمن من أهل لا يراهم الآخرون».

قال أبو عبد الصمد والحارث بن عبيد عن أبي عمران: «ستون ميلاً»(٢).

---

(١) المصدر السابق.
والجنابذ: جمع جُنبذة وهي القُبة، انظر «النهاية في غريب الحديث»: ١/ ٣٠٥.

(٢) صحيح الإمام البخاري: كتاب بدء الخلق.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: ١٧]».

ـ عن أبي هريرة صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الأُلُوّة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يُرى مُخُّ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً»[(١)].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحدة منهما يُرى مُخُّ ساقها من وراء اللحم من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشياً، لا يسقمون ولا يمتخطون، ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الأُلُوّة ـ قال أبو اليمان: يعني العود ـ ورشحهم المسك».

---

(١) المصدر السابق.
والأُلوّة: العود الذي يُتبخر به، وتفتح همزته وتضم، انظر «النهاية»: ١/ ٦٣.

وقال مجاهد: الإبكار: أول الفجر، والعشي ميل الشمس إلى أن - أُرَاهُ - تغرب[١].

- عن شيبان عن قتادة قال: حدثنا أنس رضي الله عنه، قال: أُهدي للنبي ﷺ جُبّةُ سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال:

«والذي نفس محمد بيده! لمناديل سعد بن معاذ في الجنة لأحسن من هذا»[٢].

- عن سفيان: حدثني أبو إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: أُتي رسول الله ﷺ بثوب من حرير فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه، فقال رسول الله ﷺ:

«لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل من هذا»[٣].

- عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ:

«موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»[٤].

- عن قتادة: حدثنا أنس بن مالك - رضي الله عنهم - عن النبي ﷺ قال:

«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»[٥].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، واقرؤا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقِعَة: ٣٠]»[١].

ـ وقال ﷺ:

«ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب»[٢].

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إن أهل الجنة يتراءَون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءَون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم».

قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟

قال: «بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[٣].

ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن الناس قالوا يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟

فقال رسول الله ﷺ: «هل تُضارُّون في القمر ليلة البدر؟».

قالوا: لا يا رسول الله!

قال: «فهل تُضارُّون في الشمس ليس دونها سحاب؟».

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.
والقاب هو القَدْر، وانظر «النهاية»: ٤/ ١١٨.

(٣) المصدر السابق.

قالوا: لا يارسول الله!

قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها، أو منافقوها شك إبراهيم فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه.

فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه.

ويضرب الصراط بين ظَهْرَيْ جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسول يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السَعْدان، هل رأيتم السَعْدان؟». قالوا: نعم يا رسول الله! قال: «فإنها مثل شوك السَعْدان، غير أنه لا يعلم ما قَدْر عِظَمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المُوْبَقُ بقي بعمله أو الموثق بعمله، ومنهم المُخَرْدَل[١] أو المجازَى أو نحوه.

ثم يتجلى، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً، ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود؛ تأكل النار ابن آدم إلا أثر

---

(١) أي المقطع أو المرميُّ المصروع، وانظر «النهاية»: ٢/ ٢٠.

السجود؛ حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتُحِشُوا[١] فيُصَب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته، كما تنبت الحَبّة في حَمِيل السيل[٢].

ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، هو آخر أهل النار دخولاً الجنة، فيقول: أي رب! اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قَشَبَني ريحها[٣]، وأحرقني ذَكاؤها[٤]، فيدعو الله بما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله: هل عَسِيت إن أُعطيت ذلك أن تسألني غيره؟

فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار.

فإذا أقبل على الجنة، ورآها؛ سكت ماشاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب! قدمني إلى باب الجنة.

فيقول الله له: ألست قد أعطيتَ عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أُعطيت أبداً؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك.

فيقول: أي رب! ويدعو الله حتى يقول: هل عسيت إن أُعطيت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام إلى باب الجنة

---

(١) أي احترقوا.
(٢) قال ابن الأثير: الحميل هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فإذا كانت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشُبِه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها: المصدر السابق: ١/ ٤٤٢.
(٣) أي سَمّني، وكل مسموم قشيب: المصدر السابق: ق ش ب.
(٤) الذَكاء: شدة وهج النار: المصدر السابق: ٢/ ١٦٥.

انفهقت[١] له الجنة فرأى ما فيها من الحَبْرَةِ والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب! أدخلني الجنة.

فيقول الله: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أُعطيت؟ فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك.

فيقول: أي رب! لا أكونن أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنه، فسأل ربه، وتمنى، حتى إن الله ليذكره يقول: كذا وكذا. حتى انقطعت به الأماني، قال الله: ذلك لك ومثله معه.

قال عطاء بن يزيد:

وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً، حتى إذا حدث أبو هريرة أن الله ـ تبارك وتعالى ـ قال: «ذلك لك ومثله معه» قال أبو سعيد الخدري: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة! قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: «ذلك لك ومثله معه» قال أبو سعيد الخدري أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: «ذلك لك وعشرة أمثاله» قال أبو هريرة فذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة[٢].

ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال:

«آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين،

---

(١) انفهقت: أي انفتحت واتسعت، وانظر «النهاية»: ٣/ ٤٨٢.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة.

فترفع له شجرة فيقول: أي رب! أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها.

فيقول الله عزوجل: يا ابن آدم! لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها.

فيقول: لا يا رب! ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه تعالى يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب! أدنني من هذه الشجرة لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها.

فيقول: يا ابن آدم! ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه تعالى يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها.

ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأُوليين، فيقول: أي رب! أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها.

فيقول: يا ابن آدم! ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟

قال: بلى، يا رب! هذه، لا أسألك غيرها، وربه تعالى يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها، فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب! أدخلنيها.

فيقول: يا ابن آدم! ما يَصْرِيني منك؟[1] أيرضيك الدنيا ومثلها معها؟

(١) أي ما هو الذي يقطع مسألتك عني؟ وانظر «النهاية»: ٣/ ٢٧.

فيقول: يا رب! أتستهزئ مني وأنت رب العالمين».

فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟

قالوا: مم تضحك؟

فقال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ فقال: «من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟

فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر»[١]

ـ عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال:

سأل موسى عليه السلام ربه تعالى: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟

قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة.

فيقول: أي رب! كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أَخَذاتهم؟

فيقال له: أترضى أن يكون لك مثلُ مُلك مَلِك من ملوك الدنيا؟

فيقول: رضيت، رب!

فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيت، رب!

فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة.

فيقول: رضيت، رب!

قال: رب فأعلاهم منزلة؟

قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي. وختمت عليها فلم تر عينٌ، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر» قال: ومصداقه في كتاب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: ١٧][١].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يوماً يحدث، وعنده رجل من أهل البادية «أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع.

فقال له: ألست فيما شئت؟

قال: بلى ولكن أحب أن أزرع.

قال: فبذر فبادر الطرفَ[٢] نباته واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم! فإنه لا يشبعك شيء».

فقال الأعرابي: والله لا نجده إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك النبي ﷺ[٣].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها».

فقالوا: يارسول الله! أفلا نبشر الناس؟

---

(١) المصدر السابق: باب أدنى أهل الجنة منزلة.

(٢) أي سابق طرف العين.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الحرث والمزارعة.

قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة». أراه قال: «وفوقه عرش الرحمن ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة». قال محمد بن فليح عن أبيه: «وفوقه عرش الرحمن»(١).

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

مصداق ذلك في كتاب الله:

﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: ١٧](٢).

ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ، أنه قال:

«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها»(٣).

ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال:

«إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة.

فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك.

فيقول: هل رضيتم؟

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير: باب درجات المجاهدين في سبيل الله تعالى.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) المصدر السابق: باب إن في الجنة شجرة. . .

فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب! وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك.

فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟

فيقولون: يا رب! وأي شيء أفضل من ذلك؟

فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»(١).

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إن أهل الجنة ليتراءَون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق، أو المغرب لتفاضل ما بينهم».

قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم.

قال: «بلى! والذي نفسي بيده: رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»(٢).

عن محمد قال: إما تفاخروا، وإما تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟

فقال أبو هريرة: أو لم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم:

«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يُرى مُخُّ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب؟»(٣)

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) المصدر السابق: باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

(٢) المصدر السابق: باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف. . . .

(٣) المصدر السابق: باب أول زمرة تدخل الجنة.

«إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الأُلُوَّة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم: ستون ذراعاً في السماء»[١].

ـ عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ:

«أول زمرة تلج الجنة، صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون، ولا يتغوطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم من الأُلُوَّة، ورشحهم من المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يُرى مُخُّ ساقهما من وراء اللحم، من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً»[٢].

ـ عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون».

قالوا: فما بال الطعام؟

قال «جُشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النَفَس»[٣].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق: باب في صفات الجنة وأهلها.
(٣) المصدر السابق.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[١].

ـ عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ، عن النبي ﷺ قال:

«ينادي مناد: إن لكم أن تَصِحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً» فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣][٢].

(١) المصدر السابق: باب في دوام نعيم أهل الجنة. . .

(٢) المصدر السابق.

بيان شيء من عظمته تعالى في خلق النار، نعوذ بالله منها، وفي رحمته لأهلها من المسلمين

ـ عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

«يؤتى بجهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(١).

ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «ناركم هذه ـ التي يوقد ابن آدم ـ جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم».

قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله!

قال: «فإنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلها مثل حرها»(٢).

ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله ﷺ، إذ سمع وجبة(٣)، فقال النبي ﷺ:

«أتدرون ما هذا؟»

قال: قلنا: الله ورسوله أعلم.

---

(١) صحيح الإمام مسلم: كتاب الجنة ونعيمها: باب جهنم أعاذنا الله منها.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أي صوت سقطة.

قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها»[١].

ـ عن معبد بن هلال العنزي قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ وتشفعنا بثابت، فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابت، فدخلنا عليه، وأجلس ثابتاً معه على سريره، فقال له:

يا أبا حمزة! إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة.

قال: حدثنا محمد ﷺ قال:

«إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون له: اشفع لذريتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام، فإنه خليل الله تعالى.

فيأتون إبراهيم عليه السلام، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى عليه السلام، فإنه كليم الله تعالى.

فيؤتى موسى عليه السلام، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى عليه السلام، فإنه روح الله وكلمته.

فيؤتى عيسى عليه السلام، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ، فأوتَى فأقول: أنا لها، أنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن، يُلْهُمُنِيهِ الله تعالى، ثم أخر له ساجداً، فيقال لي: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسَلْ تُعْطَه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب! أمتي، أمتي، فيقال لي: انطلق،

---

(١) المصدر السابق.

فمن كان في قلبه مثقال حبة من بُرّة، أو شعيرة من إيمان، فأخرجه منها، فأنطلق، فأفعل.

ثم أرجع إلى ربي تعالى فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لي: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يارب أمتي، أمتي! فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل.

ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لي: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب! أمتي، أمتي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل».

هذا حديث أنس الذي أنبأنا به قال: فخرجنا من عنده، فلما كنا بظهر الجَبَّان قلنا: لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه، وهو مستخف في دار أبي خليفة[١]، قال فدخلنا عليه فسلمنا عليه، قلنا:

يا أبا سعيد! جئنا من عند أخيك أبي حمزة، فلم نسمع بمثل حديث حدثناه في الشفاعة، قال: هِيهِ![٢] فحدثناه الحديث، فقال: هيه! قلنا: ما زادنا، قال: قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع، ولقد ترك شيئاً، ما أدري أنسي الشيخ، أو كره أن يحدثكم، فتتكلوا، قلنا

---

(١) وإنما كان استخفاؤه من الحجاج وإرادته الفتك به.

(٢) أي تكلموا فأسمعوني.

له: حدثنا، فضحك وقال: خلق الإنسان من عجل، ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه قال:

«ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لي: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب! ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: ليس ذاك لك ـ أو قال ليس ذاك إليك ـ ولكن، وعزتي وكبريائي وعظمتي وجِبْريائي لأخرجن من قال: لا إله إلا الله».

قال: فأشهد على الحسن: أنه حدثنا به: أنه سمع أنس بن مالك، ـ أُراه قال ـ قبل عشرين سنة، وهو يومئذ جميع[(١)].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة، ومعنى جميع أي مستجمع قوته.

تسبيح الجماد والحيوان

قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأُحرق، فأوحى إليه: أَنْ قرصتك نملةٌ أحرقتَ أمة من الأمم تسبح الله»[(١)].

ـ عن عبد الله قال: كنا نعدُّ الآيات بركة، وأنتم تعدُّونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء، فقال: «اطلبوا فَضْلة من ماء».

فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال:

«حي على الطهور المبارك والبركة من الله»، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ.

ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام؛ وهو يؤكل[(٢)].

ـ عن خيثمة ـ رحمه الله تعالى ـ قال:

كان أبو الدرداء ـ رحمه الله، ورضي الله عنه ـ يطبخ قدراً، فوقعت

---

(١) صحيح الإمام البخاري: كتاب الجهد والسير.

(٢) المصدر السابق: كتاب المناقب.

على وجهها، فجعلت تسبح، فقال: يا سلمان: تعال إلى ما لم يسمع أبوك مثله قط، فجاء سلمان، وسكن الصوت، فأخبره، فقال: يا سلمان! لو لم نصح؛ لرأيت، أو سمعت من آيات الله الكبرى[١].

(١) «كتاب العظمة»: ٥/ ١٧٣٠.

بيان شيء من
عظمته تعالى في سائر المخلوقات

ـ عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[١].

ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال يوماً:

«أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟»

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «إن هذه تجري حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعى، ارجعي من حيث جئت فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها.

ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه: كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة البقرة.

ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذلك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي، أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها».

فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»(١).

ـ عن حذيفة بن أسيد، يبلغ به النبي ﷺ قال:

«يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين، أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: يا رب! أشقي أو سعيد؟ فيُكتبان.

فيقول: أي رب! أذكر أو أنثى؟ فيُكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف، فلا يُزاد فيها ولا يُنقص»(٢).

ـ عن أبي الزبير المكي: أنَّ عامر بن وائلة حدثه: أنَّه سمع عبد الله ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وُعِظ بغيره، فأتى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري، فحدثه بذلك من قول ابن مسعود رضي الله عنه فقال: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟

فقال له الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً، فصورها وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها، ثم قال: يا رب! أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك.

---

(١) والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب القدر: باب كيفية خلق الآدمي.

ثم يقول: يا رب! أجله؟ فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك.

ثم يقول: يارب! رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك.

ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على أمر ولا يَنقص»[(١)].

ـ عن حذيفة الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول:

«إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة، ثم يتصور عليها الملك».

قال زهير: حسبته قال: الذي خلقها:

«فيقول: يا رب! أذكر أو أنثى؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى.

ثم يقول: يا رب! أسوي أو غير سوي؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي.

ثم يقول: يا رب! ما رزقه؟ ما أجله؟ ما خلقه؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً»[(٢)].

ـ عن زيد بن وهب: قال عبدالله ـ رضي الله عنه ـ: حدثنا رسول الله ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق ـ قال:

«إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً ويؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله، وشقي أو سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة»[١].

ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأَمّر علينا أبا عبيدة، نتلقى عيراً لقريش، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطيناً تمرة تمرة.

قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟

قال: نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخَبْط[٢]، ثم نبله بالماء فنأكله، قال: وانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر، قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، بل نحن رسل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا.

قال: فأقمنا عليه شهراً، ونحن ثلاث مائة حتى سمنا، قال: ولقد رأيتنا نغترف من وَقْب عينه بالقلال الدهن، ونقتطع منه الفِدَر[٣] كالثور ـ أو كقدر الثور ـ فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً، فأقعدهم في وَقْب عينه، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها، ثم رَحَل أعظم بعير معنا، فمر من تحتها، وتزودنا من لحمه وَشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري: كتاب بدء الخلق، الحديث رقم (٣٢٠٨).

(٢) ورق الشجر.

(٣) أي القِطَع.

«هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟ قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله»[١].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال:

«خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها من الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»[٢].

ـ بينا سليمان بن عبدالملك ـ رحمه الله ـ واقف بعرفة، ومعه عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ إذ رعدت رعدة، فجزع منها سليمان حتى وضع خدّه على مقدم الرحل، فقال له عمر بن عبدالعزيز: هذه جاءت برحمة، فكيف لو جاءت بسخطة؟[٣]

ـ بينما عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بعرفة، إذ صعقت رعدة ثم برقت، ثم أَرْخت[٤] أمثال العَزالي[٥]، قال: فرفع سليمان رأسه إلى عمر بن عبدالعزيز فقال: هذا والله السلطان.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان: باب إباحة ميتات البحر.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب صفات المنافقين: باب ابتداء الخَلق، وخلق آدم عليه السلام.

(٣) «العظمة»: ٤/ ١٢٨٧-١٢٨٨.

(٤) قال ابن منظور: وأرخيت الشيء وغيره إذا أرسلته. «لسان العرب»: ١٥/ ٣١٤.

(٥) قال ابن الأثير: والعزالي: جمع العَزْلاء، وهو فم المزادة الأسفل. «النهاية» ٣/ ٢٣١، فيه تشبيه لغزارة المطر وكثرته بالذي يخرج من فم المزادة.

فقال له عمر: يا أمير المؤمنين: إنما سمعت حسّ الرحمة، فكيف لو سمعت حسّ العذاب؟

قال: فأبلغ والله في الموعظة[١].

(١) «العظمة» ٤/١٢٨٨.

المبحث الثالث

كلام وأحوال للسلف في العظمة

المبحث الثالث
كلام وأحوال للسلف في العظمة

ـ قالت عائشة رضي الله عنها:

«تبارك من وسع سمع الأصوات»[١]

ـ عن عائشة رضي الله عنها، قالت:

الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة[٢] تشكو إلى رسول الله ﷺ، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١][٣].

ـ عن مطر بن طهمان الوراق، أبو رجاء الخراساني السلمي ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩][٤] قال:

يحيي ميتاً، ويميت حياً، ويربي صغيراً، ويجيب داعياً، ويشفي سقيماً، ومنتهى شكوى الصالحين، ويعرض حاجات المؤمنين[٥].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

(٢) هي خولة بنت حكيم بن أمية السلمية، كما جاء التصريح باسمها في بعض الروايات.

(٣) أخرجه الإمام أبو الشيخ في «كتاب العظمة» ٢/ ٥٣٧، والأثر صحيح.

(٤) سورة الرحمن: آية ٢٩.

(٥) أخرجه الإمام أبو الشيخ في «كتاب العظمة»: ٢/ ٤٨٢-٤٨٥.

ـ عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩] قال:

من شأنه أن يميت من جاء أجله، ويصور ما شاء في الأرحام، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، وأن يفدي الأسير[(١)].

ـ عن الحسن[(٢)] ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمَان: ٢٧] قال:

لو جعل شجر الأرض أقلاماً، وجعل ماء البحر في دواة، وقال ﷻ: مِن أمري كذا وكذا، لنفد ماء البحر ولتكسرت الأقلام[(٣)].

ـ عن زيد بن أسلم رضي الله عنه في قوله ﷻ ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] قال:

يعلم أسرار العباد وأخفى سره فلا يُعْلم[(٤)].

ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال:

خلق الله ـ تبارك وتعالى ـ بيده أربعة أشياء: آدم، والعرش، والقلم، وجنة عدن، وقال لسائر الخلق: كن فكان[(٥)].

---

(١) المصدر السابق: ٢/ ٤٨٦-٤٨٧.
وقال المحقق:
قال ابن القيم في شفاء العليل، ص٢٣: قال مجاهد والكلبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وعطاء ومقاتل: «من شأنه أن يحيي ويميت ويزق ويمنع وينصر ويعز ويذل ويفك عانياً ويشفي مريضاً ويجيب داعياً ويعطي سائلاً ويتوب على قوم ويكشف كرباً ويغفر ذنباً ويضع أقواماً ويرفع آخرين».

(٢) هو الحسن البصري رحمه الله تعالى.

(٣) أخرجه الإمام أبو الشيخ في «كتاب العظمة»: ٢/ ٥٠٤، وحكم المحقق بصحة إسناده.

(٤) المصدر السابق: ٢/ ٥١٧ وحكم المحقق بصحة إسناده.

(٥) المصدر السابق: ٢/ ٥٧٩ وحكم المحقق بصحة إسناده.

ـ عن مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ قال:

ما أخذت السماوات والأرض من العرش إلا كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة[١].

ـ عن شُريح بن عُبيد رحمه الله تعالى ـ وهو تابعي شامي ثقة ـ أنه كان يقول:

«ارتفع إليك ثُغاء التسبيح، وصعد إليك وقار التقديس، سبحانك ذا الجبروت، بيدك الملك والملكوت، والمفاتيح والمقادير»[٢].

ـ عن مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ في قول الله ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال:

ما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة[٣].

ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء الثالثة والتي تليها وبين الأخرى مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله ﷻ فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه[٤].

---

(١) المصدر السابق: ٢/ ٥٨٢ وحكم المحقق بصحة الإسناد.

(٢) ذكرها الإمام الذهبي في «العلو»: ٢/ ٨٧٢، وقال: إسنادها صحيح.
والثغاء: صوت الشاة والماعز، والمقصود هاهنا مطلق الصوت.

(٣) أخرجه الإمام أبو الشيخ في «كتاب العظمة»: ٢/ ٦٣٢ وحكم بصحة الإسناد.

(٤) المصدر السابق: ٢/ ٦٨٩ وحكم على إسناده بالصحة.

- ومن خطبة لعلي رضي الله عنه:[١] الحمد لله المعروف من غير رؤية، والخالق من غير رَوِيَّة، الذي لم يزل قائماً دائماً؛ إذ لا سماءٌ ذات أبراج، ولا حجبٌ ذات إرتاج[٢]، ولا ليل داجٍ[٣]، ولا بحر ساجٍ[٤]، ولا جبل ذو فِجاج، ولا فج ذو اعوجاج، ولا أرض ذات مهاد، ولا خلق ذو اعتماد، وذلك مبتدع الخلق ووارثه، وإله الخلق ورازقه، والشمس والقمر دائبان في مرضاته، يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد[٥].

ومن خطبة لعلي رضي الله عنه:

كل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به غِنى كل فقير، وعزُّ كل ذليل، وقوةُ كل ضعيف، ومَفْزَع كل ملهوف، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه.

لم تَرَكَ العيون فتخبر عنك؛ بل كنت قبل الواصفين من خلقك.

لم تخلق الخلق لوحشة، ولا استعملتهم لمنفعة، ولا يسبقك من طلبت، ولا يُفْلِتُك من أخذت، ولا يَنْقُصُ سلطانَك من عصاك، ولا يزيد في ملكك من أطاعك، ولا يرد أمرك من سخط قضاءك، ولا يستغني عنك من تولى عن أمرك، كل سر عندك علانية، وكل غيب عندك شهادة.

---

(١) لا تثبت هذه الخطبة والتي تليها لعلي رضي الله عنه وإنما أوردتها لما فيها من تعظيم الله تعالى، والله أعلم.

(٢) أي إغلاق.

(٣) أي مظلم.

(٤) أي ساكن، وانظر «النهاية»: ٢/ ٣٤٥.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ٦/ ٣٩٢.

أنت الأبد فلا أمد لك، وأنت المنتهى فلا محيص عنك، وأنت الموعد فلا منجى منك إلا إليك.

بيدك ناصية كل دابة، وإليك مصير كل نَسَمَة.

سبحانك ما أعظم شأنك، سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك، وما أصغر عظيمه في جنب قدرتك.

وما أهول ما نرى من ملكوتك، وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك.

وما أسبغ نعمك في الدنيا، وما أصغرها في نعم الآخرة[١].

ـ ومن خطبة لعلي رضي الله عنه:

أمره قضاء وحكمة، ورضاه أمان ورحمة؛ يقضي بعلم، ويعفو بحلم.

اللهم! لك الحمد على ما تأخذ وتعطي؛ وعلى ما تعافي وتبتلي؛ حمداً يكون أرضى الحمد لك، وأحب الحمد إليك؛ وأفضل الحمد عندك؛ حمداً يملأ ما خلقت، ويبلغ ما أردت؛ حمداً لا يُحجب عنك، ولا يُقْصَر دونك؛ حمداً لا ينقطع عدده، ولا يفنى مدده، فلسنا نعلم كُنْهَ عظمتك؛ إلا أنَّا نعلم أنك حي قيوم؛ لا تأخذك سنة ولا نوم؛ لم ينته إليك نظر، ولم يدركك بصر، أدركت الأبصار، وأحصيت الأعمال، وأخذت بالنواصي والأقدام.

وما الذي نرى من خلقك، ونعجب له من قدرتك، ونصفه من عظيم سلطانك؛ وما تَغَيَّب عنا منه؛ وقصرت أبصارنا عنه، وانتهت

(١) «شرح نهج البلاغة»: ٤/ ٧/ ١٩٤.

عقولنا دونه، وحالت سواتر الغيوب بيننا وبينه أعظم، فمن فرّغ قلبه، وأعمل فكره، ليعلم كيف أقمت عرشك، وكيف ذَرَأْتَ خلقك، وكيف علقت في الهواء سمواتك، وكيف مددت على مَوْرِ الماء أرضك، رجع طرفه حسيراً، وعقله مبهوراً، وسمعه والِهاً، وفكره حائراً[١].

- ومن خطبة لعلي رضي الله عنه:

لا يشغله شأن، ولا يغيره زمان، ولا يحويه مكان، ولا يصفه لسان، ولا يعزب عنه عدد قطر الماء، ولا نجوم السماء، ولا سوافي الريح في الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق، وخفي طَرْف الأحداق.

وأشهد أن لا إله إلا الله غير معدول به، ولا مشكوك فيه، ولا مكفور دينه، ولا مجحود تكوينه، شهادة من صدقت نيته، وَصَفَتْ دِخْلتُه، وخلص يقينه، وثقلت موازينه[٢].

- ومن خطبة لعلي رضي الله عنه:

الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه، وجلال كبريائه، ما حير العقول من عجائب قدرته، وردع خطرات النفوس عن عرفان كُنْهِ صفته.

وأشهد أن لا إله إلا الله؛ شهادة إيمان وإيقان، وإخلاص وإذعان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله؛ وأعلام الهدى دارسة، ومناهج الدين طامسة، فصدع بالحق، ونصح للخلق، وهدى إلى الرشد، وأمر بالقصد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) المصدر السابق: ٥/ ٩/ ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق: ٥/ ١٠/ ٥٨.

واعلموا عباد الله! أنه لم يخلقكم عبثاً، ولم يرسلكم هَمَلاً، علم مبلغ نعمه عليكم، وأحصى إحسانه إليكم، فاستفتحوه، واستنجحوه، واطلبوا إليه، واستمنحوه؛ فما قطعكم عنه حجاب، ولا أُغلق عنكم دونه باب.

وإنه لبكُل مكانٍ[١]؛ وفي كل حين وأوانٍ، ومع كل إنس وجانٍ، ولا يثلمه العطاء[٢]، ولا ينقصه الحِباء[٣]، ولا يستنفده سائل[٤]، ولا يستقصيه نائل، ولا يلويه شخص عن شخص، ولا يلهيه صوت عن صوت، ولا تحجزه هبة عن سلب، ولا يشغله غضب عن رحمة، ولا تولهه رحمة عن عقاب.

قرب فنأى، وعلا فدنا، وظهر فبطن، وبطن فعلن، ودان ولم يدن.

لم يذرء الخلق باحتيال، ولا استعان بهم لكلال[٥].

وقال إبراهيم بن الأشعث[٦]:

ما رأيت أحداً كان اللهُ في صدره أعظمَ من الفُضَيْل[٧]، كان إذا ذكر الله، أو ذُكر عنده، أو سمع القرآن؛ ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من يحضره.

---

(١) يعني بعلمه جل جلاله.

(٢) أي لا يكسره.

(٣) أي العطاء.

(٤) أي لا ينهي ما عنده السائلون.

(٥) المصدر السابق: ٥/ ١٠/ ١٧٠.

(٦)

(٧)

وكان دائمَ الحزن، شديد الفكرة، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وعمله، وأخذه وعطائه، ومنعه وبذله، وبغضه وحبه، وخصاله كلها غيره.

كنا إذا خرجنا في جنازة لا يزال يعظ، ويذكِّر ويبكي كأنه مودع أصحابه ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر فيجلس، فكأنه بين الموتى من الحزن والبكاء حتى يقوم، وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها[١].

وقال أعرابي:

«الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا تدلان على العليم الخبير».

ـ وقال معروف الكَرْخي ـ رحمه الله تعالى ـ:

«سيدي:

إليك تقرب المتقربون في الخلوات، أنت الذي سجد لك الليل والنهار، والفلك الدوار، والبحر الزخار، وكل شيء عندك بمقدار، وأنت العلي القهار»[٢].

ـ وقال ذو النون المصري ـ رحمه الله تعالى ـ:

«إلهي!

ما أصغي إلى حفيف شجر، ولا صوت حيوان، ولا خرير ماء، ولا ترنم طائر؛ إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك، دالة على أن ليس كمثلك شيء، وأنك غالب لا تُغلب، وعدل لا تجور»[٣].

---

(١) «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٧٧٣، وانظر «حلية الأولياء»: ٨/ ٨٤

(٢) «الأدب في التراث الصوفي»: ١١٤.

(٣) المصدر السابق.

ـ وهذا بشر الحافي الزاهد المشهور رأى يوماً قرطاساً فيه اسم الله تعالى مكتوب، وهو ملقى على الأرض، فرفعه، ونظفه، واشترى بدرهم طيباً فطيبه، فرأى في المنام من يقول له: يا بشر: طيبت اسمي، فوعزتي لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة(١).

فهذا عبد عظم اسم الله تعالى، فصنع الله به من الفضل شيئاً عظيماً، فاللهم! اجعلنا ممن يعظمك.

وسئل أحد المشايخ عن عظمة الله تعالى فقال:

ما تقول فيمن عنده واحد اسمه جبرائيل له ستمائة جناح، لو نشر منها جناحين لستر الخافقين(٢)

الله أكبر.

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ:

اعلم: أنَّ الله ـ عز وجل ـ قد أخبرنا ـ وهو أصدق القائلين ـ بأن عَرْشَ بلقيس عرشٌ عظيم فقال: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النَّمل: ٢٣] ثم ختم الآيات بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النَّمل: ٢٦] فكان عرشها عظيماً بالنسبة إليها، وما نحيط الآن علماً بتفاصيل عرشها ولا بمقداره، ولا بماهيّته، وقد أتى به بعضُ رعية سليمان ـ عليه السلام ـ إلى بين يديه قبل ارتداد طرفه، فسبحان الله العظيم، فما ينكرُ كراماتِ الأولياء إلا جاهل، فهل فوق هذه كرامة؟ فيقال إنه دعا بالاسم الأعظم، فحضر في لمح البصر من اليمن

(١) «التحبير في التذكير»: ٢٦-٢٧.
(٢) المصدر السابق: ٨٦.

إلى الشام، فما ثَمَّ إلا محضُ الإيمان والتصديق، ولا مجالَ للعقل في ذلك، بل آمنا وصدّقنا، فهذا في شيء صغير صَنَعَه الآدميون، وجلبَه في لمحة من هذه المسافة البعيدة بَشَرٌ بإذن الله تعالى؛ فما الظنُ بما أعدَّ الله تعالى من السُرور والقصور في الجنة لعباده؟ الذي كل سرير منها طوله وعرضه مسيرة شهر أو أكثر، وهو من درة بيضاء أو من ياقوتةٍ حمراء، الذي كُل باعٍ منه خير من مُلك الدنيا، فتبارك الله أحسن الخالقين، آمنّا بالغيب والله، وجزمنا بخبر الصادق، ففي الجنة ـ قَطْعاً ـ ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلبِ بشر، فما الظنُّ بالعرش العظيم الذي اتخذه العَليّ العظيم لنفسه، في ارتفاعه وسَعته، وقوائمه وماهيتهِ وحَملتهِ، والكروبيين الحافين من حوله، وحُسنه ورونقه، وقيمته؟ فقد ورد أنه من ياقوتة حمراء، ولعلَّ مساحته مسيرة خمسمائة ألف عام، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم؛ الحمد لله رب العالمين، سبحانه الله وبحمده، عدد خلقه وزنة عرشه، ورضى نفسه ومداد كلماته، ضاعت الأفكار، وطاشت العقول، وكلّت الألسنة عن العبارة عن بعض المخلوقات، فالله أعلى وأعظم، آمنا بالله، ونشهد بأنا مسلمون، تباً لذوي العقول الخائضة، والقلوب المعطّلة، والنفوس الجاحدة، فما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون، اللهم بحقك عليك، وباسمك الأعظم، وكلماتك التامة، ثبت الإيمان في قلوبنا، واجعلنا هداة مهتدين، نعم! ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة، وما الكرسي في العرش العظيم إلا كحلقة في فلاة، اسمع وتعقل ما يقال لك،

وتدبر ما يلقى إليك، والجأ إلى الإيمان بالغيب، فليس الخبر كالمعاينة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧].

وقال: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [الزُّمَر: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ۝١٧ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقَّة: ١٧-١٨].

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [غافر: ١٥][1].

ـ عن حسان بن عطية، قال:

«حملة العرش ثمانية يتجاوبونَ بصوت حسن رخيم، فيقول أربعة منهم: سبحانك وبحمدك على حلمك بَعْدَ علمك، ويقول أربعةٌ: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك» إسناده قوي[2]

(١) «العلو»: ١/ ٥٦٢-٥٦٤.

(٢) أخرجه الإمام الذهبي في «العلو»: ١/ ٥٧١.

المبحث الرابع

كلام جليل لأهل العلم الطبيعي في بيان شيء من عظمة الله تعالى

المبحث الرابع
كلام جليل لأهل العلم الطبيعي
في بيان شيء من عظمة الله تعالى

قال الأستاذ سيد ـ رحمه الله تعالى ـ في صدر تفسير سورة الأعلى:

«في رواية للإمام أحمد عن الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ أن رسول الله ﷺ كان يحب هذه السورة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. وفي صحيح مسلم: أنه كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية: ١] وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما..»

وحق لرسول الله ﷺ أن يحب هذه السورة، وهي تحيل له الكون كله معبداً، تتجاوب أرجاؤه بتسبيح ربه الأعلى وتمجيده، ومعرضاً يحفل بموحيات التسبيح والتحميد:

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ١-٥].. وإيقاع السورة الرخي المديد يلقي ظلال التسبيح ذي الصدى البعيد.. ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ١-٥].. إن هذا الافتتاح، بهذا المطلع الرخي المديد، ليطلق في الجو ابتداء أصداء التسبيح، إلى جانب معنى التسبيح. وإن هذه الصفات التي تلي الأمر بالتسبيح: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ١-٥]..

لتحيل الوجود كله معبداً يتجاوب جنباته بتلك الأصداء؛ ومعرضاً تتجلى فيه آثار الصانع المبدع:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢-٣].

والتسبيح: هو التمجيد، والتنزيه، واستحضار معاني الصفات الحسنى لله، والحياة بين إشعاعاتها وفيوضاتها وإشراقاتها ومذاقاتها الوجدانية بالقلب والشعور، وليست هي مجرد ترديد لفظ: سبحان الله!.. و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١].. تطلق في الوجدان معنى وحالة يصعب تحديدها باللفظ، ولكنها تُتذوق بالوجدان، وتوحي بالحياة مع الإشراقات المنبثقة من استحضار معاني الصفات.

والصفة الأولى القريبة في هذا النص هي صفة الرب، وصفة الأعلى. والرب: المربي والراعي، وظلال هذه الصفة الحانية مما يتناسق مع جو السورة وبشرياتها وإيقاعاتها الرخية، وصفة الأعلى تطلق التطلع إلى الآفاق التي لا تتناهى، وتطلق الروح لتسبح وتسبح إلى غير مدى، وتتناسق مع التمجيد والتنزيه، وهو في صميمه الشعور بصفة الأعلى.

والخطاب هنا لرسول الله ﷺ ابتداء، وهذا الأمر صادر إليه من ربه، بهذه الصيغة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] وفيه من التلطف والإيناس مايجل عن التعبير، وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ هذا الأمر، ثم يعقب عليه بالاستجابة المباشرة، قبل أن يمضي في آيات السورة، يقول: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] فهو خطاب ورده، وأمر وطاعته، وإيناس ومجاوبته، إنه في حضرة ربه، يتلقى مباشرة ويستجيب، في أنس وفي اتصال قريب، وحينما نزلت هذه

الآية قال: «اجعلوها في سجودكم»، وحينما نزلت قبلها: «فسبح باسم ربك العظيم» قال «اجعلوها في ركوعكم» فهذا التسبيح في الركوع، والسجود كلمة حية ألحقت بالصلاة، وهي دافئة بالحياة لتكون استجابة مباشرة لأمر مباشر، أو بتعبير أدق: لإذن مباشر، فإذن الله لعباده بأن يحمدوه، ويسبحوه، إحدى نعمه عليهم وأفضاله، إنه إذن بالاتصال به سبحانه في صورة مقربة إلى مدارك البشر المحدودة، صورة تفضل الله عليهم بها ليعرفهم ذاته، في صفاته في الحدود التي يملكون أن يتطلعوا إليها، وكل إذن للعباد بالاتصال بالله في أية صورة من صور الاتصال هو مكرمة له، وفضل على العباد.

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ [الأعلى: ١-٣].

الذي خلق كل شيء فسواه، فأكمل صنعته، وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه، والذي قدر لكل مخلوق وظيفته، وغايته، فهداه إلى ما خلقه لأجله، وألهمه غاية وجوده، وقدر له ما يصلحه مدة بقائه، وهداه إليه أيضاً.

وهذه الحقيقة الكبرى ماثلة في كل شيء في هذا الوجود؛ يشهد بها كل شيء في رحاب الوجود، من الكبير إلى الصغير، ومن الجليل إلى الحقير، كل شيء مسوى في صنعته، كامل في خلقته، معد لأداء وظيفته، مقدر له غاية وجوده، وهو ميسر لتحقيق هذه الغاية من أيسر طريق، وجميع الأشياء مجتمعة كاملة التناسق، ميسرة لكي تؤدي في تجمعها دورها الجماعي؛ مثلما هي ميسرة فرادى لكي تؤدي دورها الفردي.

الذرة بمفردها كاملة التناسق بين؛ كهاربها، وبروتوناتها، وإلكتروناتها، شأنها شأن المجموعة الشمسية، في تناسق شمسها وكواكبها وتوابعها، وهي تعرف طريقها وتؤدي مثلها وظيفتها.

والخلية الحية المفردة، كاملة الخلقة والاستعداد لأداء وظائفها كلها، شأنها شأن أرقى الخلائق الحية المركبة المعقدة.

وبين الذرة المفردة والمجموعة الشمسية؛ كما بين الخلية الواحدة وأرقى الكائنات الحية، درجات من التنظيمات والتركيبات كلها في مثل هذا الكمال الخلقي، وفي مثل هذا التناسق الجماعي، وفي مثل هذا التدبير والتقدير الذي يحكمها ويصرفها، والكون كله هو الشاهد الحاضر على هذه الحقيقة العميقة.

هذه الحقيقة يدركها القلب البشري جملة، حين يتلقى إيقاعات هذا الوجود، وحين يتدبر الأشياء في رحابه بحس مفتوح، وهذا الإدراك الإلهامي لا يستعصي على أي إنسان في أية بيئة، وعلى أية درجة من درجات العلم الكسبي، متى تفتحت منافذ القلب، وتيقظت أوتاره لتلقي إيقاعات الوجود.

والملاحظة بعد ذلك، والعلم الكسبي يوضحان بالأمثلة الفردية ما يدركه الإلهام بالنظرة الأولى.

وهناك من رصيد الملاحظة، والدراسة ما يشير إلى طرف من تلك الحقيقة الشاملة لكل ما في الوجود.

يقول العالم (ا. كريسي موريسون) رئيس أكاديمية العلوم بنيورك في كتابه: «الإنسان لا يقوم وحده»:

«إن الطيور لها غريزة العودة إلى الموطن، فعصفور الهزاز الذي عشش ببابك، يهاجر جنوباً في الخريف، ولكنه يعود إلى عشه في

الربيع التالي، وفي شهر سبتمبر تطير أسراب من معظم طيورنا[١] إلى الجنوب، وقد تقطع في الغالب نحو ألف ميل فوق البحار، ولكنها لا تضل طريقها».

وحمام الزاجل إذا تحير من جراء أصوات جديدة عليه، في رحلة طويلة داخل قفص، يحوم برهة ثم يقصد قدماً إلى موطنه دون أن يضل.

والنحلة تجد خليتها مهما طمست الريح ـ في هبوبها على الأعشاب والأشجار ـ كل دليل يرى.

وحاسة العودة إلى الوطن هذه هي ضعيفة في الإنسان، ولكنه يكمل عتاده القليل منها بأدوات الملاحة، ونحن في حاجة إلى هذه الغريزة، وعقولنا تسد هذه الحاجة، ولابد أن للحشرات الدقيقة عيوناً ميكروسكوبية ـ مكبرة ـ لا ندري مبلغها من الإحكام؛ وأن للصقور بصراً تلسكوبياً ـ مكبراً مقرباً ـ وهنا أيضاً يتفوق الإنسان بأدواته الميكانيكية، فهو بتلسكوبه يبصر سديماً بلغ من الضعف، أنه يحتاج إلى مضاعفة قوة إبصاره مليوني مرة ليراه، وهو بمكروسكوبه الكهربائي يستطيع أن يرى بكتريا كانت غير مرئية، بل كذلك الحشرات الصغيرة التي تعضها!.

وأنت إذا تركت حصانك العجوز وحده، فإنه يلزم الطريق مهما اشتدت ظلمة الليل، وهو يقدر أن يرى ولو في غير وضوح، ولكنه يلحظ اختلاف درجة الحرارة في الطريق وجانبيه، بعينين تأثرتا قليلاً بالأشعة تحت الحمراء التي للطريق.

---

(١) أي طيور أمريكا.

والبومة تستطيع أن تبصر الفأر الدافئ اللطيف، وهو يجري على العشب البارد مهما تكن ظلمة الليل.

إن العاملات من النحل تصنع حجرات مختلفات الأحجام في المشط الذي يستخدم في التربية، وتعدُّ الحجرات الصغيرات للعمال، والأكبر منها لليعاسيب ـ ذكور النحل ـ وتعد غرفة خاصة للملكات الحوامل.

والنحلة الملكة تضع بيضاً غير مخصب، في الخلايا المخصصة للذكور، وبيضاً مخصباً في الحجرات الصحيحة المعدة للعاملات الإناث، والملكات المنتظرات، والعاملات ـ اللائي هن إناث معدلات بعد أن انتظرن طويلاً مجيء الجيل الجديد ـ تهيأن أيضاً لإعداد الغذاء للنحل الصغير بمضع العسل واللقح ومقدمات هضمه، ثم ينقطعن عن عملية المضع ومقدمات الهضم عند، مرحلة معينة من تطور الذكور والإناث، ولا يغذين سوى العسل واللقح، والإناث اللاتي يعالجن على هذا الشكل يصبحن عاملات.

أما الإناث اللاتي في حجرات الملكة، فإن التغذية بالمضغ ومقدمات الهضم تستمر بالنسبة لهن، وهؤلاء اللاتي يعاملن هذه المعاملة الخاصة، يتطورن إلى ملكات نحل، وهن وحدهن اللائي ينتجن بيضاً مخصباً، وعملية تكرار الإنتاج هذه تتضمن حجرات خاصة، وبيضاً خاصاً، كما تتضمن الأثر العجيب الذي لتغيير الغذاء، وهذا يتطلب الانتظار، والتمييز، وتطبيق اكتشاف أثر الغذاء! وهذه التغيرات تنطبق بوجه خاص على حياة الجماعة، وتبدو ضرورية لوجودها، ولابد أن المعرفة والمهارة اللازمتين لذلك قد تم اكتسابهما

بعد ابتداء هذه الحياة الجماعية، وليستا بالضرورة ملازمتين لتكوين النحل ولا لبقائه على الحياة، وعلى ذلك؛ فيبدو: أن النحل قد فاق الإنسان في معرفة تأثير الغذاء تحت ظروف معينة!

والكلب بما أوتي من أنف فضولي يستطيع أن يحس الحيوان الذي مرَّ، وليس ثمة من أداة من اختراع الإنسان لتقوي حاسة الشم الضعيفة لديه، ومع هذا فإن حاسة الشم الخاصة بنا ـ على ضعفها ـ قد بلغت من الدقة: أنَّها يمكنها أن تتبين الذرات المكروسكوبية البالغة الدقة.

وكل الحيوانات تسمع الأصوات؛ التي يكون كثير منها خارج دائرة الاهتزازات الخاصة بنا، وذلك بدقة تفوق كثيراً حاسة السمع المحدودة عندنا، وقد أصبح الإنسان يستطيع بفضل وسائله أن يسمع صوت ذبابة تطير على بعد أميال، كما لو كانت فوق طبلة أذنه، ويستطيع بمثل تلك الأدوات أن يسجل وقع شعاع شمسي!

إن إحدى العناكب المائية تصنع لنفسها عشاً على شكل منطاد ـ بالون ـ من خيوط العنكبوت، وتعلقه بشيء ما تحت الماء، ثم تمسك ببراعة فقاعة هواء في شعر جمسها، وتحملها إلى الماء، ثم تطلقها تحت العش، ثم تكرر هذه العملية حتى ينتفخ العش، وعندئذ تلد صغارها وتربيها، آمنة عليها من هبوب الهواء، فها هنا نجد طريقة النسج، بما يشمله من هندسة وتركيب وملاحة جوية!

وسمك (السلمون) الصغير يمضي سنوات في البحر، ثم يعود إلى نهره الخاص به، والأكثر من ذلك أنه يصعد إلى جانب النهر الذي يصب عنده النهير الذي ولد فيه، فما الذي يجعل السمك يرجع إلى مكان

مولده بهذا التحديد؟ إن سمكة السلمون التي تصعد في النهر صعداً، إذا نقلت إلى نهير آخر؛ أدركت تواً: أنَّه ليس جدولها، فهي لذلك تشق طريقها خلال النهر، ثم تحيد ضد التيار، قاصدة إلى مصيرها!

وهناك لغز أصعب من ذلك يتطلب الحل، وهو الخاص بثعابين الماء التي تسلك عكس هذا المسلك، فإن تلك المخلوقات العجيبة متى اكتمل نموها، هاجرت من مختلف البرك والأنهار، وإذا كانت في أوروبا قطعت آلاف الأميال في المحيط قاصدة كلها إلى الأعماق السحيقة جنوبي برمودا، وهناك تبيض وتموت، أما صغارها ـ تلك التي لا تملك وسيلة لتعرف بها أي شيء سوى أنها في مياه قفرة ـ فإنها تعود أدراجها وتجد طريقها إلى الشاطئ الذي جاءت منه أمهاتها، ومن ثم إلى كل نهر أو بحيرة أو بركة صغيرة، ولذا يظل كل جسم من الماء آهلاً بثعابين البحار، وهي الآن يتاح لها النمو، حتى إذا اكتمل نموها؛ دفعها قانون خفي إلى الرجوع حيث كانت، بعد أن تتم الرحلة كلها، فمن أين ينشأ الحافز الذي يوجهها لذلك؟ لم يحدث قط أن صيد ثعبان ماء أمريكي في المياه الأوربية، أو صيد ثعبان ماء أوربي في المياه الأمريكية، والطبيعة تبطئ في إنماء ثعبان الماء الأوربي مدة سنة، أو أكثر؛ لتعوض من زيادة مسافة الرحلة التي يقطعها ـ إذ أن مسافته أطول من مسافة زميله الأمريكي ـ ترى هل الذرات والهباءات إذا توحدت معاً في ثعبان ماء، يكون لها حاسة التوجيه وقوة الإرادة اللازمة للتنفيذ؟!

وإذا حمل الريح فراشة أنثى من خلال نافذة إلى علية بيتك؛ فإنها لا تلبث حتى ترسل إشارة خفية، وقد يكون الذكر على مسافة بعيدة،

ولكنه يتلقى هذه الإشارة، ويجاوبها مهما أحدثت أنت من رائحة بعملك لتضليلهما، ترى هل لتلك المخلوقة الضئيلة محطة إذاعة؟ وهل لذكر الفراشة جهاز راديو عقلي، فضلاً عن السلك اللاقط للصوت (هوائي)؟ أتراها تهز الأثير فهو يتلقى الاهتزاز؟!.

إن التليفون والراديو (الهاتف والمذياع) هما من العجائب الآلية، وهما يتيحان لنا الاتصال السريع، ولكنا مرتبطون في شأنهما بسلك ومكان، وعلى ذلك لا تزال الفراشة متفوقة علينا من هذه الوجهة.

والنبات يتحايل على استخدام وكلاء لمواصلة وجوده، دون رغبة من جانبهم! كالحشرات التي تحمل اللقح من زهرة إلى أخرى، والرياح، وكل شيء يطير أو يمشي، ليوزع بذوره، وأخيراً أوقع النبات الإنسان ذا السيادة في الفخ! فقد حسن الطبيعة وجازته بسخاء، غير أنه شديد التكاثر، حتى أصبح مقيداً بالمحراث، وعليه أن يبذر ويحصد ويخزن، وعليه أن يربي ويهجن، وأن يشذب ويطعِّم، وإذا هو أغفل هذه الأعمال كانت المجاعة نصيبه، وتدهورت المدنية، وعادت الأرض إلى حالتها الفطرية!.

وكثير من الحيوانات هي مثل (سرطان البحر) الذي إذا فقد مخلباً عرف أن جزءاً من جسمه قد ضاع، وسارع إلى تعويضه بإعادة تنشيط الخلايا وعوامل الوراثة؛ ومتى تم ذلك كفت الخلايا عن العمل، لأنها تعرف بطريقة ما أن وقت الراحة قد حان!

وكثير الأرجل المائي إذا انقسم إلى قسمين؛ استطاع أن يصلح نفسه عن طريق أحد هذين النصفين، وأنت إذا قطعت رأس دودة الطعم؛ تسارع إلى صنع رأس بدلاً منه، ونحن نستطيع أن ننشط التئام

الجروح، ولكن متى يتاح للجراحين أن يعرفوا كيف يحركون الخلايا؛ لتنتج ذراعاً جديدة، أو لحماً، أو عظاماً، أو أظافر، أو أعصاباً إذا كان ذلك في حيز الإمكان؟!

وهناك حقيقة مدهشة، تلقي بعض الضوء على لغز هذا الخلق من جديد؛ فإن الخلايا في المراحل الأولى من تطورها، إذا تفرقت، صار لكل منها القدرة على خلق حيوان كامل، ومن ثم فإنه إذا انقسمت الخلية الأولى إلى قسمين، وتفرق هذان، تطور منهما فردان، وقد يكون في ذلك تفسير لتشابه التوأمين، ولكنه يدل على أكثر من ذلك، وهو أن كل خلية في البداية، يمكن أن تكون فرداً كاملاً بالتفصيل، فليس هناك شك إذن، في أنك أنت، في كل خلية ونسيج!.

ويقول في فصل آخر:

إن جوزة البلوط تسقط على الأرض، فتحفظها قشرتها السمراء الجامدة، وتتدحرج في حفرة ما من الأرض، وفي الربيع تستيقظ الجرثومة، فتنفجر القشرة، وتزدرد الطعام من اللب الشبيه بالبيضة الذي اختفت فيه (الجينات) ـ وحدات الوراثة ـ وهي تمد الجذور في الأرض، وإذا بك ترى فرخاً أو شتلة ـ شجيرة ـ وبعد سنوات شجرة! وإن الجرثومة بما فيها من جينات، قد تضاعفت ملايين الملايين، فصنعت الجذع والقشرة وكل ورقة وكل ثمرة، مماثلة لتلك التي لشجرة البلوط التي تولدت عنها، وفي خلال مئات السنين قد بقي من ثمار البلوط ـ التي لا تحصى ـ نفس ترتيب الذرات تماماً الذي أنتج أول شجرة بلوط، منذ ملايين السنين.

وفي فصل ثالث يقول:

وكل خلية تنتج في أي مخلوق حي يجب أن تكيف نفسها لتكون جزءاً من اللحم، أو أن تضحي بنفسها كجزء من الجلد الذي لا يلبث حتى يبلى، وعليها أن تصنع ميناء الأسنان، وأن تنتج السائل الشفاف في العين، أو أن تدخل في تكوين الأنف أو الأذن، ثم على كل خلية أن تكيف نفسها من حيث الشكل، وكل خاصية أخرى لازمة لتأدية مهمتها، ومن العسير أن نتصور أن خلية ما هي ذات يد يمنى أو يسرى، ولكن إحدى الخلايا تصبح جزءاً من الأذن اليمنى، بينما الأخرى تصبح جزءاً من الأذن اليسرى.

وإن مئات الآلاف من الخلايا تبدو كأنها مدفوعة لأن تفعل الشيء الصواب، في الوقت الصواب، وفي المكان الصواب!

في خليط الخلق قد أتيح لكثير من المخلوقات أن تبدي درجة عالية من أشكال معينة من الغريزة، أو الذكاء أو ما لا ندري، فالدبور مثلاً يصيد الجندب النطاط، ويحفر حفرة في الأرض، ويخز الجندب في المكان المناسب تماماً حتى يفقد وعيه، ولكنه يعيش كنوع من اللحم المحفوظ.

وأنثى الدبور تضع بيضاً في المكان المناسب بالضبط، ولعلها لا تدري أن صغارها حين تفقس يمكنها أن تتغذى، دون أن تقتل الحشرة التي هي غذاؤها، فيكون ذلك خطراً على وجودها، ولا بد أن الدبور قد فعل ذلك من البداية وكرره دائماً، وإلا ما بقيت زنابير على وجه الأرض، والعلم لا يجد تفسيراً لهذه الظاهرة الخفية، ولكنها مع ذلك لا يمكن أن تنسب إلى المصادفة!

وإن أنثى الدبور تغطي حفرة في الأرض، وترحل فرحاً ثم تموت، فلا هي ولا أسلافها قد فكرت في هذه العملية، وهي لا تعلم ماذا

يحدث لصغارها، أو أن هناك شيئاً يسمى صغاراً، بل إنها لا تدري أنها عاشت وعملت لحفظ نوعها!

وفي بعض أنواع النمل، يأتي العَمَلة منه بحبوب صغيرة لإطعام غيرها من النمل في خلال فصل الشتاء، وينشئ النمل ما هو معروف (بمخزن الطحن) وفيه يقوم النمل ـ الذي أوتي أفكاكاً كبيرة معدة للطحن ـ بإعداد الطعام للمستعمرة، وهذا هو شاغلها الوحيد، وحين يأتي الخريف، وتكون الحبوب كلها قد طحنت، فإن «أعظم خير لأكبر عدد» يتطلب حفظ تلك المؤونة من الطعام، وما دام الجيل الجديد سينتظم كثيراً من النمل الطحان، فإن جنود النمل تقتل النمل الطاحن الموجود، ولعلها ترضي ضميرها الحشري، بأن ذلك النمل قد نال جزاءه الكافي، إذ كانت له الفرصة الأولى في الإفادة من الغذاء أثناء طحنه!.

وهناك أنواع من النمل تدفعها الغريزة أو التفكير ـ واختر منهما ما يحلو لك ـ إلى زرع أعشاش الطعام فيما يمكن تسميته (بحدائق الأعشاش)، وتصيد أنواعاً معينة من الدود والأرق أو اليرق ـ وهي حشرات صغيرة تسبب آفة الندوة العسلية ـ فهذه المخلوقات هي بقر النمل وعنزاتها! ومنها يأخذ النمل إفرازات معينة تشبه العسل ليكون طعاماً له.

والنمل يأسر طوائف منه ويسترقها، وبعض النمل حين يصنع أعشاشه، يقطع الأوراق مطابقة للحجم المطلوب، وبينما يضع بعض عملة النمل الأطراف في مكانها، تستخدم صغارها ـ التي وهي في الدور اليرقي تقدر أن تغزل الحرير ـ لحياكتها معاً! وربما حرم طفل

النمل عمل شرنقة لنفسه، ولكنه قد خدم الجماعة! فكيف يتاح لذرات المادة التي تتكون منها النملة، أن تقوم بهذه العمليات المعقدة؟

لا شك أن هناك خالقاً أرشدها إلى كل ذلك. انتهى.

أجل لا شك أن هناك خالقاً أرشدها، وأرشد غيرها من الخلائق، كبيرها وصغيرها، إلى كل ذلك: إنه ﴿ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢-٣].

وهذه النماذج التي اقتطفناها من كلام ذلك العالم، ليست سوى طرف صغير من الملاحظات التي سجلها البشر، في عوالم النبات والحشرات، والطيور، والحيوان، ووراءها حشود من مثلها كثيرة، وهذه الحشود لا تزيد على أن تشير إلى جانب صغير، من مدلول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢-٣] في هذا الوجود المشهود الذي لا نعرف عنه إلا أقل من القليل، ووراءه عالم الغيب الذي ترد لنا عنه لمحات فيما يحدثنا الله عنه؛ بالقدر الذي يطيقه تكويننا البشري الضعيف![(١)].

شهادة السير جيمس جنز:

في سياق إثبات شهادة كبار علماء الكون الذي تأثروا بالإعجاز العلمي في القرآن، يجدر أن تذكر هذه الحادثة المدهشة، التي نقلها العلامة الهندي الشهير «عناية الله المشرقي» الذي كان من أعظم علماء الهند في الطبيعة والرياضيات، والذي كان يتمتع بشهرة عظيمة في الغرب، لاكتشافاته العديدة، وأفكاره الجديدة، وهو أول من عرض فكرة القنبلة الذرية، وعرضت عليه جائزة نوبل فرفضها.

(١) «في ظلال القرآن»: ٣٨٨٢-٣٨٨٨.

يقول العلامة الدكتور المشرقي:

«كان ذلك يوم الأحد، من أيام سنة ١٩٠٩، وكانت السماء تمطر بغزارة، وخرجت من بيتي لقضاء حاجة ما، فإذا بي أرى الفلكي المشهور السير جيمس جنز ـ الأستاذ بجامعة كامبردج ـ ذاهباً إلى الكنيسة، والإنجيل والشمسية تحت إبطه، فدنوت منه، وسلمت عليه، فلم يرد علي، فسلمت عليه مرة أخرى، فسألني: ماذا تريد مني؟»

فقلت له: أمرين يا سيدي.

الأول: هو أن شمسيتك تحت إبطك رغم شدة المطر، فابتسم السير جيمس، وفتح شمسيته على الفور.

فقلت له: وأما الآخر، فهو: ما الذي يدفع رجلاً شائع الصيت في العالم مثلك أن يتوجه إلى الكنيسة؟؟

وأمام هذا السؤال توقف السير جيمس لحظة، ثم قال: عليك اليوم أن تشرب شاي المساء عندي.

وعندما وصلت إلى داره في المساء خرجت «ليدي جيمس» في تمام الساعة الرابعة بالضبط، وأخبرتني: أنَّ السير جيمس ينتظرني.

وعندما دخلت عليه في غرفته، وجدت أمامه منضدة صغيرة موضوعة عليها أوراق الشاي، وكان البروفسور منهمكاً في أفكاره.

وعندما شعر بوجودي؛ سألني: ماذا كان سؤالك؟

ودون أن ينتظر ردي بدأ يلقي محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية، ونظامها المدهش، وأبعادها وفواصلها اللامتناهية، وطرقها، ومداراتها، وأما السير جيمس، فوجدت شعر رأسه قائماً،

والدموع تنهمر من عينيه، ويداه ترعدان من خشية الله، وتوقف فجأة ثم بدأ يقول:

يا عناية الله! عندما ألقي نظرة على روائع خلق الله، يبدأ وجودي يرتعش من الجلال الإلهي، وعندما أركع أمام الله وأقول له: إنك عظيم، أجد أن كل جزء من كياني يؤيدني في هذا الدعاء، وأشعر بسكون وسعادة عظيمتين، وأحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرة.

أفهمت يا عناية الله خان! لماذا أذهب إلى الكنيسة؟

ويضيف العلامة عناية الله قائلاً: لقد أحدثت هذه المحاضرة طوفاناً في عقلي، وقلت له: ياسيدي: لقد تأثرت جداً بالتفاصيل العلمية التي رويتموها لي، وتذكرت بهذه المناسبة آية من كتابي المقدس، فلو سمحتم لي لقرأتها عليكم؟

فهز رأسه قائلاً: بكل سرور.

فقرأت عليه الآية التالية: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فَاطِر: ٢٧-٢٨].

فصرخ السير جيمس قائلاً: ماذا قلت؟ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فَاطِر: ٢٨] مدهش، وغريب، وعجيب جداً!!!

إنه الأمر الذي كشفت عنه دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة، من أنبأ محمداً به؟

هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟

لو كان الأمر كذلك، فاكتب شهادة مني أن القرآن موحى به من عند الله.

ويستطرد السير جيمس قائلاً:

لقد كان محمد أمياً، ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه، ولكن الله هو الذي أخبره بهذا السر، مدهش، غريب، وعجيب جداً[١].

(١) «الإيمان بالله ـ جل جلاله ـ في ضوء العلم العقل» للأستاذ محمد رشدي عبيد: ١٥٢-١٥٣.

عظمة الله تعالى في خلق الإنسان

قال الأستاذ خالص جلبي مبيناً أطوار خلق الإنسان، منذ اجتماع البويضة بالحيوان المنوي، إلى اكتمال خلق الجنين وخروجه:

مصنع البيوض عند المرأة:

يعتبر المبيض المصنع الذي يكوِّن بويضات المرأة، والعجيب في هذا المصنع: أنه يبنى، وتوضع فيه المواد الأولية وهي الخلايا التي ستتكون منها البويضات، ولكن لا يفتح هذا المصنع أبوابه للإنتاج حتى سن البلوغ، حتى تكتمل الأنثى وتتهيأ من ناحية المظهر الجسمي والنفسي، وعندما تدخل سن البلوغ يبدأ المبيض الهاجع بالعمل وتنطلق البيضة الأولى منه.

لقد وجد أن في المبيض ما يقرب من ٤٠٠ ألف جُرَيْب ـ والجريب كيس يشبه الجراب الصغير، فيه خلايا صغيرة تحيط بالبيضة الأصلية التي تحمل صفات الأم ـ ولا ينطلق من المبيض سوى ٤٠٠ جريب وسطياً خلال الحياة وهو ما يعادل بيضة واحدة في كل شهر.

يحصل تطور خطير ومهم، وهو ما يعرف بالانقسام المنصف الذي يجعل البويضة تملك نصف الكروموسومات، حتى تلتقي بالنطفة التي تملك أيضاً نصف الكروموسومات (الصبغيات) من الأب، حتى يتشكل من اجتماع النصفين بشر سوي متكامل، والآن حانت ساعة الصفر لأن الحيوان المنوي؛ الذي تركناه وهو ينطلق كالصاروخ عبر

الرحم إلى النفير، والبوق، وهو يضرب بذنبه الطويل ويشق عباب المفرزات بأسرع حركة، وهي الحركة اللولبية، وفي مقدمته القلنسوة المدرعة، فكيف سيتم اللقاء التاريخي؟

لقاء الحيوان المنوي والبويضة:

لو تصورنا أننا أرسلنا رجلاً مغمض العينين من شرق سوريا، من مدينة القامشلي، ومن الغرب رجلاً آخر من اللاذقية، مغمض العينين ودفعناهما في اتجاهين معاكسين، وحددنا لهما غرفة على شاطىء نهر الفرات، تبعد عن مدينة دير الزور بمسافة ٢٥كم إلى الجنوب الشرقي فكيف نتصور اللقاء؟ هل هو أقرب للمستحيل، أم هو مستحيل فعلاً؟ إن هذا يحدث تماماً للنطفة، والبيضة؛ لأن البوق الذي تسير فيه البيضة يعتبر نفقاً هائلاً بالنسبة لها، وأكثر بالنسبة للنطفة؛ حيث إن قطر النطفة يبلغ بضعة ميكرونات، ويبلغ قطر البويضة ٢٠٠ميكرون، بينما يبلغ طول النفير ١٢ سم، وثخانته (قطره) ١سم، وهي على كل حال أجزاء من السنتيمتر من الداخل (لمعة النفير). ونعيد فنذكر القارئ أن الميكرون هو جزء من ألف من الميلمتر، وهكذا فإن طول النفير يبلغ (٢٤٠ ألف) ضعف للنطفة، وتعبر النطفة ثلثي هذه المسافة في مدى ساعات، ثم لنتصور كثافة القذائف المتسابقة، فهي بالملايين، والسبّاق الأول هو الذي يلتحم بالبويضة؛ حيث إنه يقترب من البويضة، ويرسل لها إنزيماً خاصاً يعتبر كرسول يخبر البويضة؛ أن ها قد جئت فافتحي الباب، فتبعث له إشارة من جدارها الخارجي أن اقترب، وهو مخروط الجذب كما يسميه الأطباء؛ حيث تتبارز منطقة صغيرة من الجدار الخارجي للبويضة، فيقترب من هذا التبارز الحيوان

المنوي، وإذا بالجدار ينفلق، ويلجه الحيوان المنوي بقلنسوته المصفحة ويترك وراءه الذنب الطويل، الذي ساعده في هذه الرحلة الطويلة، فجزاه الله كل خير، ولكن لم يعد بحاجة إليه، فليبق إذاً في الخارج، وليدخل إلى جوف البويضة الحشوة الإنسانية النصفية.

وتقترب النواتان، وتندمج الصبغيات، وتكتمل، وإذا بالكروموسومات تتراكب على بعضها وتخلق إنساناً جديداً، له صفات الأب والأم معاً، إن الخلية الجديدة التي تبلغ من الوزن جزءاً من مليون من الجرام تصبح في موعد الولادة، مخلوقاً متكاملاً يزن ثلاثة آلاف ومئتين وخمسين غراماً (٣٢٥٠) غراماً، ويبلغ مقدار خلاياه (٢٠٠) بليون خلية أو على ما ذكر ـ صاحب كتاب (لماذا نموت) ـ الدكتور عبد المحسن صالح ألف مليون مليون خلية، وهو رقم هائل، وهذا نتيجة الانقسامات العديدة، وأما الوزن فقد ازداد ما يفوق على ثلاثة آلاف مليون مرة عما كان عليه عندما كان يرقد في الخلية الأولى.

تكون الذكر والأنثى:

لقد وجد أن المضغة الإنسانية يكون طولها ٥ملم في اليوم الخامس والثلاثين، ثم تزيد بمعدل مليمتر واحد يومياً حتى نهاية الشهر الثاني أي تصبح ٣٠ملم أو ٣سم عندما يكون العمر شهرين، وفي نهاية الشهر الثالث يتم تكوّن الأعضاء التناسيلة الخارجية.

وهنا نتساءل: ولكن كيف تحدد الجنس ذكراً أم أنثى؟ إن هذا يعود إلى الأيام الأولى من تخلق الإنسان، وبالضبط في اللحظة التي التقى فيها الحيوان المنوي بالبويضة؛ فلقد وجد أن الحيوانات المنوية تحوي من الصبغيات ٢٣صبغياً ووجدوا أن الحيوانات المنوية نوعان من ناحية

حمل الصفات الجنسية، فقسم يحمل صبغياً يرمز له بـ X وصبغياً آخر يرمز له بـ Y كما وجد أن الذكر تحتوي خلاياه على ٢٣ زوجاً من الصبغيات ٢٢ زوجاً منها تتعلق بالصفات الجسمية، والزوج الأخير يتعلق بالصفات الجنسية وهو مكون من اجتماع صبغي X مع صبغي Y وهكذا فإن صبغة الذكر الجنسية هي XY بينما وجدوا: أن الأنثى لا تحتوي إلا نوعاً واحداً من الصبغيات الجنسية هي X فقط، ووجدوا أن الصيغة الجنسية في خلايا الأنثى هي كما يلي: ٢٣ زوجاً منها ٢٢ زوجاً للصفات الجسمية و X X الزوج الأخير للأنوثة، ومن هذا الشرح البسيط تتبين لنا حقيقة هامة، وهي: أنَّ الذكر هو الذي حدد جنس الجنين، بفضل الحيوانات المنوية متغايرة الصيغة، فإذا التحم حيوان منوي بحيوي صيغة X كان الجنين أنثى؛ لأن البويضة بطبيعة الحال تحمل صيغة X فتكون النتيجة هي الصيغة الجنسية X X وهي صيغة الأنثى، بينما إذا التقى حيوان منوي يحمل الصبغي Y كان الجنين ذكراً لأن الصيغة ستكون XY وهي صيغة الذكر، وصدق الله حينما قال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٦-٣٩] فجعل منه ـ أي المني أو النطف ـ الزوجين الذكر والأنثى، فالآية هنا تشير إلى أن تحديد الجنس يعود للنطف عند الذكر، وهي حقيقة علمية كشف العلم الحديث عن سرها؟!

ولنتابع تطور الجنين، وتخلقه خلال أشهر الحمل تدريجياً: إنَّه في الشهر الثالث يبلغ طوله ثلاثة سنتمرات ٣سم، ووزنه ١١غراماً فقط، ويكون الرأس كبيراً مخيفاً، يقارب في حجمه ثلث حجم الجنين، وأما الأحشاء فهي بارزة مع الكبد في حالة فتق، فما هذا المنظر؟! وأي

جراح سيصلح له هذا الفتق ويرد أحشاءه؟ لا نستعجل فالإرادة الحكيمة تفعل فعلها، كما نلاحظ ظهور العينين والأذنين والأطراف كجذمور صغير!!

وفي نهاية الشهر الثالث يبلغ طول الجنين ١٠ سم، ووزنه ٥٥ غراماً؛ أي: إنَّ طوله أصبح ثلاثة أضعاف خلال شهر ووزنه تضاعف إلى خمسة أضعاف، ولا يلبث ذلك الفتق أن يزول وترجع الأحشاء مع الكبد إلى الداخل، ويتكون موضع السرة؛ حيث يبقى بصمة على مر الزمن، تذكر الإنسان بالموضع الذي خرج منه!!

وفي نهاية الشهر الرابع يصبح طوله ٢٠سم، ووزنه ١٧٠غراماً، أي تضاعف الطول خلال شهرين سبع مرات، وتضاعف الوزن ١٧ مرة!! كما يتشكل الجهاز الهضمي ويبدأ الكبد بالعمل، ولكن الجنين مع هذا يبدو أحمر اللون أصْلعَ، كما أنه يبدو بشع المنظر متجعد الجلد، ولكن لا نستعجل لأن كل شيء سيتم على ما يرام، ففي نهاية الشهر الخامس يصبح طوله ٣٠سم ووزنه ٦٥٠ غراماً، كما يظهر شعر الرأس وتبدأ غدد الجلد في العمل، إذن بدأت مظاهر الجمال بالظهور.

حسناً فهل انتهى الأمر، أم أنه بحاجة إلى أشياء جديدة؟ هناك أشياء كثيرة تحتاج إلى تتمة، فالأجفان مطبقة ملتصقة ببعضها، ولا أظافر، كما أن لون الجلد ما زال أحمر، ولا تزال تجعدات الجلد موجودة، كما أن الخصيتين ما تزالان في الظهر، ولكن ما أن يصل إلى الشهر الثامن حتى يكون طوله ٤٥ سم ووزنه ٢٥٠٠ غرام، والأجفان منفصلة، والشحم تحت الجلد أخفى التجعدات، كما أن لون الجلد أصبح أبيض وردياً جميلاً، وهاجرت الخصيتان من الظهر إلى الصفن،

وفي نهاية الشهر التاسع يكون طوله ٥٠سم أي تضاعف طوله ما يقرب من ١٧ مرة والوزن ٣٢٥٠ غراماً أي تضاعف الوزن قرابة ٣٢٥مرة كما أن الأجهزة تكون كاملة، ويكون الجنين في تمام تخلقه، لا ينقصه شيء، فكيف سارت الأمور في هذا الطريق مرحلة مرحلة، لا تسبق مرحلة أخرى، ولا تستأخر، وكل منها توصل الجنين إلى مرحلة أخرى تتمم الأولى؟! أي خلق وأي إبداع، سبحانك اللهم؟!!

النطق والبيان:

وأما تنظيم عملية التصويت والنطق، فإنها أيضاً أعجوبة بحد ذاتها، ولا أنها تحصل في كل لحظة، لكل من ينطق من أبناء البشر، فينسون بالإلف والعادة هذه المعجزة.

ولنتملى في هذه الآية العجيبة قليلاً، أولاً: كيف يتم التفكير والإدراك، والتخيل، وتركيب الكلمات، والجمل، والأفكار، وربط كل هذا بعضه إلى بعض، بحيث يخرج الكلام منسجماً متوازناً يهدف إلى معنى، إن هذا يجعل الطب ـ حتى الآن ـ عاجزاً عن الإجابة عليه، ثم كيف يستخدم الإنسان الأسماء حتى يتفاهم مع غيره على الشيء الذي يريده؛ هو أيضاً معجزة من المعجزات، ثم كيف ينتقل هذا الأمر من عالم الماديات المحسوسة، إلى عالم الروح والفكر، حيث يتم التعبير بالأشياء المجردة؟! الحق يقال: إنَّنا درسنا عمومات الطب من أوله حتى آخره، ومع ذلك لم نستطع حتى الآن أن نفقه هذه الأسرار، كما أن الأطباء الذين يبحثون هذه القضايا يقفون مشدوهين أمام هذه الظواهر الفذة العجيبة المحيرة!! ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ [الرَّحمـٰن: ١-٤].

إن النطق في مستواه الفكري ـ قبل البحث عن كيفية حدوث التصويت بعد ـ ظاهرة غير مفهومة في عرف العلم، وحقاً إن الإنسان محير بتركيبه.

ثم لنتأمل على المستوى المادي: إن الحبال الصوتية بفضل تقلصها وارتخائها بالإضافة إلى عضلات اللسان، وغضاريف الحنجرة، وعضلات الوجه، وإطباق الشفتين، ثم الأجواف المحفورة في الجمجمة هي التي تعطي الصوت رنينه الخاص لكل إنسان؛ بحيث يكون لكل إنسان صوته المميز الخاص.

وأما الأعصاب؛ فهي تلعب الدور المهم في إعطاء الأوامر إلى العضلات المناسبة؛ بحيث تتناسق هذه العضلات مع بعضها البعض، فيرتخي قسم حين ينقبض قسم آخر، فلا يطغى عمل على عمل، ولا يفسد عملُ عضلات، عملَ عضلات أخرى، فإذا انطلق الهواء من الرئتين فإن الحبال الصوتية هي التي تعترضه أولاً؛ حتى يخرج الحرف الحلقي المناسب، وهي: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والخاء، والغين، ثم ينطلق إلى الفم؛ حتى يخرج من أحد زوايا اللسان، أو من مقدمه، أو من إطباق الشفتين، هذا بالنسبة لمخرج الحرف الواحد، ولنتأمل طويلاً كيف يجب أن ينطلق الهواء وبسرعة هائلة، حتى يقذف من مكانه المناسب، فيخرج الحرف المناسب، ثم يتبعه صوت آخر، ليتحول إلى مكان آخر، حتى يعبر عن حرف آخر، وهكذا... حتى تكتمل كلمة واحدة تعني شيئاً معيناً، وتتابع الحروف عجيب لأن الحرف الأول من الكلمة، قد يكون مخرجه من الشفة؛ بينما يكون الحرف الثاني الذي يليه مباشرة من الحلق، والثالث من جانب

اللسان، فإذا اكتملت الكلمة الواحدة، تتابعت كلمات أخر، وتتابعت الجمل، فإذا معنى جميل يدركه الذهن (وما أدراك ما الذهن؟!!) ويجب أن نلاحظ أنَّ العضلات، والغضاريف، والحبال الصوتية، مزدوجة. وهناك تناسق عجيب ما بين الشطرين، فإذا حصل خلل ما في المخيخ ـ مثلاً ـ الذي يقوم على تناسق عضلات التصويت، حدث المرض المعروف بالرُّتَّة؛ وهو تقطع الكلمات، وعدم فهم ما يقوله المريض تماماً إلا بصعوبة، ولنعلم: أنَّ هذه العملية المتكررة، يشرف عليها ثلاثة أعصاب رئيسية، وألياف عصبية، وفروع عصبية صغيرة لا تحصى، بالإضافة إلى سبع عشرة عضلة في اللسان، وما يزيد على ٢٠ عضلة في الوجه، فأيُّ إبداع، وأيُّ عظمة هذه[١]؟!!

---

(١) «الطب محراب الإيمان»: ١/ ٦٨-١٤٤ بتصرف.

حقائق في خلق الإنسان

تدل على عظمة الخالق سبحانه

إليكم مجموعة من الحقائق تدل على عظمة الخالق جل جلاله؛ ذكرها الأستاذ الدكتور خالص جلبي:

١ـ وزن القلب حوالي ٣١٢ غراماً، حجمه حجم قبضة اليد، تبلغ ضربات قلب الرجل حوالي (٦٠-٨٠/د) وينبض في العام حوالي ٤٠ مليون مرة، وفي كل نبضة يدخل القلب حوالي ربع رطل من الدم، ويضخ في يوم واحد ٢٢٠٠ جالون من الدم، وحوالي ٥٦ مليون جالون على مدى حياة بأكملها، ترى هل يستطيع محرك آخر القيام بمثل هذا العمل الشاق، لمثل تلك الفترة الطويلة، دون أن يحتاج لإصلاح؟

٢ـ ويستطيع القلب إذا استُعمل كآلة محركة، أن يرفع ثقلاً مقداره رطلين، إلى ارتفاع قدمين، بنفس الجهد الذي يبذله في نبضة واحدة.

٣ـ ويبلغ مقدار الدم الذي يدفعه قلب رجل صحيح، أثناء القيام بتمارين قاسية حوالي ٢٠ ليتر في الدقيقة، ويستغرق مرور دفعة واحدة من الدم خلال القلب حوالي ١،٥ ثانية، والطريق من القلب إلى الرئة، ثم إلى القلب مرة أخرى ـ الدورة الصغرى ـ ست ثوان.

٤ـ الدم الذاهب إلى الدماغ يعود إلى القلب في ٨ ثوان، بينما يعود الدم الذاهب إلى أصابع القدم في ١٨ ثانية.

٥ـ إذا افترضنا أن القلب لم يضطر إلى زيادة سرعة ضرباته عن الطبيعي، فإن الكرية الحمراء تمر في الدورة ١٥٠٠ مرة في المتوسط، على مدى يوم كامل (حمال يحمل يومياً ١٥٠٠ مرة بدون تعب)!!. . .

٦ـ في الدم ٥ ملايين كُرَيَّة حمراء في كل ملمتر مكعب واحد من الدم، أي: تبلغ في مجموع الدم العام حوالي ٢٥ مليون مليون كرية حمراء، وتفرش سطحاً مقداره ٣٤٥٠ متر مربع، وإذا صفت كريات حمر بدن واحد بجانب بعضها البعض؛ فإن مجموع أقطار الكريات (قطر الكرية الواحدة في المتوسط ٧ مكرون) ينشىء طولاً يغلف الكرة الأرضية ٦-٧ مرات، وتعيش الكُرَيّة ـ وسطياً ـ ١٢٠ يوماً، ويمكن أن ينقص عمر الكرية حتى ٢٠ يوماً بدون ظهور دلائل فقر الدم، وتمشي الكرية الحمراء في رحلتها لنقل الأكسجين ١١٥٠كم في عروق البدن، وفي الكرية الواحدة يكمن مركب الخضاب المعقد الذي يحوي ٥٧٤ حمضاً أمينياً بالإضافة إلى الشحم، والسكاكر، والخمائر، والفيتامينات.

٧ـ وفي نقص الأكسجين يرتفع عدد الكريات الحمر إلى ٧-٨مليون/ ملم مكعب خاصة في الارتفاعات، وفي الأجنة، باعتبار: أنَّ الرئة لا تعمل، مما دعا إلى القول بأن الجنين الإنساني يجلس على قمة إفرست!!

٨ ـ الخلايا الجدارية التي تفرز حمض كلور الماء في المعدة (HCL) قدر عددها بمليار خلية.

٩- يحوي الجسم البشري أكثر من ٦٠٠ عضلة، وأكثر من ٢٠٠ عظم، وتحوي العضلة المتوسطة الحجم على ١٠ ملايين ليف عضلي، وتحوي عظمة الفخذ أكثر من ٣٠ ألف عمود كلسي خاص.

١٠- في كل يوم يتنفس الإنسان ٢٥ ألف مرة، يسحب فيها ١٨٠ متر مكعب من الهواء، يتسرب منها ٦،٥ متر مكعب من الأكسجين إلى الدم.

١١- عمل العضلات مجتمعة في اليوم، يساوي ما حمولته ٢٠طن.

١٢- في المعدة ٣٥ مليون غدة للإفراز، وفي العفج والصائم (الأمعاء) ٣٦٠٠ زغابة معوية للامتصاص في كل ١سم مربع، وفي الدقاق ٢٥٠٠، مع العلم أن طول الأمعاء حوالي ثمانية أمتار.

١٣- الزغابات في المشيمة عند المرأة الحامل تفرش مساحة ١٦٠ قدم مربع، وطول ٣٠ ميل، وتعتبر مقراً لإفراز العديد من الهورمونات، وممصات للغذاء، وجهاز تصفية لأي مادة تعبره.

١٤- كل صبغي يحتوي على مورثات يمكن أن يصل عددها إلى ١٥-٢٠ ألف مورثة، وكل واحدة من هذه المورثات مسؤولة عن قطاع في الكيان الإنساني للمستقبل، وعدد الصبغيات ٤٦ أو ٢٣ زوجاً، وهي موزعة في ثمانية مجموعات أكبرها المجموعة C التي تحوي سبعة أزواج، وأقلها الزوج الجنسي المختص بإعطاء صفات الذكورة والأنوثة.

١٥- في الدماغ ١٣ مليار خلية عصبية، و١٠٠ مليار خلية دبقية استنادية تشكل سداً مارداً لحراسة الخلايا العصبية من التأثر بأية مادة،

والأورام تنمو خاصة على حساب الخلايا الدبقية، وكأن الخلايا العصبية مستعصية على السرطان، يتغذى الدماغ من الغلوكوز ـ مادة سكرية ـ فقط؛ بخلاف القلب الذي يتغذى من سكر الغلوكوز أو حمض اللبن، فالسكر هو الحلوى الفاخرة التي يفضلها الدماغ بخلاف بقية أجهزة البدن، وإذا وقع البدن في أزمة؛ فإن الدماغ يبقى العضو النبيل الذي يفضل على غيره في العطاء.

١٦ـ في العين الواحدة حوالي ١٤٠ مليون مستقبل للضوء، وهي ما تسمى بالمخاريط والعصي، يبلغ عدد المخاريط في كل عين ٧ ملايين وعدد العصيات ١٣٠ مليون، مهمة الأولى للضوء المركز والألوان، والثانية للضوء الضعيف والعادي، هذه المخاريط والعصي تمثل شبكية الاستقبال في العين، والشبكية هذه هي نصف كرة ترقد في قاع العين، وترى بفضل منظار القعر بشكل جميل للغاية، ويغلف الشبكيةَ كرتان: الأولى غزيرة بالتروية الدموية، والثانية طبقة صلبة حامية، ويتحكم في حركات العين ست عضلات، ويشرف على التوازن الدماغ والمخيخ والبصلة السيسائية، ويخرج من العين وكمحصلة لعمل الشبكية نصف مليون ليف عصبي ينقل الصورة بشكل ملون، بقي أن نقول إن الشبكية هي عشر طبقات، وطبقة المخاريط والعصي هي واحدة فقط، وفي أعمق مكان.

١٧ـ في عضو كورتي الذي يمثل شبكية الأذن فيه حوالي ٣٠ ألف خلية سمعية لنقل كافة أنواع الأصوات، وحساسيته عظيمة، وعضو كورتي هذا يمثل الأذن الباطنية حيث نرى الحلزون الذي

يضم عضو كورتي ويشكل ٢،٥ دورة، بالإضافة إلى ذلك نرى الدهليز الممثل في القريبة والكييس، وفي الأقنية نصف الدائرية المسؤولة عن التوازن في الإنسان؛ حيث يمثل التوازن أمراً معقداً جداً، يشترك فيه الدماغ، والمخيخ، والأذن الباطنة، وتعتبر الأخيرة المسؤول المحيطي؛ في حين تعتبر العناصر الأولى المناطق المركزية المسؤولة عن التوازن.

والسؤال كيف يتم التوازن بمثل هذه الدقة؟

والجواب: أنَّ الأمر على درجة كبيرة من التعقيد، لم يحلَّ الطب بعد ألغازها حتى اليوم، يكفي أن نعلم أن الأذن الباطنة فيها قسم يسمى التيه (Labyrinth) لأن الباحث يكاد يتيه من أشكال الدهاليز والممرات، والجدر، والحفر، والغرف، والفوهات، والاتصالات، وشبكة التنظيم، والعلاقات الموجودة داخل هذا القسم.

١٨ـ وهناك اتصال ما بين الأذن الباطنية والوسطى بواسطة نافذتين هما: المدورة، والبيضية، وبواسطة النافذة المدورة العلوية يتم الاتصال ما بين الأذن الوسطى ـ بعظيماتها الثلاث ـ وما بين داخل الأذن الباطنة، والعُظيم الذي يستقر على النافذة المدورة هو عظم الركابة، في حين أن العظم الذي يستند على غشاء الطبل هو المطرقة، ويصل ما بين العظمين عظم السندان، بالإضافة إلى عضلتين، وهذه المجموعة تشكل الأذن الوسطى؛ التي تتصل بالبلعوم بواسطة نفير أوستاش، الذي ينظم الضغط ما بين الأذن الوسطى، والخارجية، والذي يفصل بينهما غشاء

الطبل، ويعتبر صيوان الأذن مجمع الصوت الخارجي؛ الذي يقوده إلى غشاء الطبل، الذي يوقع اهتزازاته على عُظَيمات السمع، والتي تنقله بأمانة إلى النافذة المدورة التي تحمله بدورها إلى الأذن الباطنة التي تقوم بتفسيره، ونقله بشكل سيالة عصبية إلى المركز السمعي العام في الدماغ: الفص الصدغي.

١٩ـ في الدم الكامل ٢٥ مليون كرية حمراء لنقل الأكسجين، و٢٥مليار كرية بيضاء لمقاومة الجراثيم، ومناعة البدن، وهي بخمسة أشكال، ومليون مليون صفيحة دموية لحفظ الدم ضد النزف، وإيجاد التخثر في أي عرق نازف، وتتكون هذه الخلايا بصورة أساسية من مخ العظام الذي يصب في الدم بمعدل ٢،٥ مليون كرية حمراء في الثانية، و٥ملايين صفيحة و١٢٠ألف كرية بيضاء، وجدير بالذكر: أنَّ الكريات الحمر تقوم بنقل ٦٠٠لتر من الأكسجين لخلايا الجسم كل ٢٤ساعة.

٢٠ـ في المعثكلة (البانكرياس) قطاع لإفراز الخمائر التي تفرغ إلى الأمعاء الدقيقة؛ حيث يتم هضم أنواع الطعام الثلاثة: البروتينات والسكاكر والأدهان، وهناك قطاع ثانٍ متصل بالدم، وهو المعروف بجزيرات لانغرهانس التي يبلغ عددها (٢٠٠,٠٠٠ ـ ١,٨٠٠,٠٠٠ جزيرة) فيها أربعة أنواع من الخلايا؛ أهمها خلايا ألفا؛ التي تفرز هورمون (الغلوكاكون) الذي يزيد من كمية السكر في الدم، وخلايا بيتا؛ التي تفرز الأنسولين، ومهمته الرئيسية حرق السكر في الجسم، أو على الأقل إعطاؤه إلى الخلايا التي تستعمله كوقود للطاقة والحرارة، ويجب أن نعلم أن مقدار

السكر في الدم هو غرام واحد فقط في كل لتر من الدم بنسبة ثابتة؛ أي: خمسة جرامات في كل الدم داخل العروق.

٢١ـ في المبيض عند المرأة بويضات جاهزة، تصلح كل واحدة أن تكون نصف إنسان، يبلغ عددها في المبيض الواحد (٤٠٠،٠٠٠) بويضة، ولا يفرز من هذه البويضات في كل دورة قمرية ـ (٢٨) يوماً ـ سوى بيضة واحدة، ويتناوب المبيضان في الإفراز بالحالة الطبيعية، ويعتبر المبيض غدة الجنس البدئية، كما هو الحال في الخصية عند الذكر، ولكن من الأمور الملفتة للنظر أن مبيض المرأة في بطنها، في حين أن خصية الرجل خارج بدنه لأن احتمال موت النطف، أو إصابة الخصية بالسرطان وارد جداً؛ إذا بقيت خصية الرجل داخل البطن، ولم تنزل إلى كيس الصفن كالمعتاد.

٢٢ـ تعتبر الخصية عند الرجل مصنع الإنتاج للنطف أو الحيوانات المنوية، حيث تجتمع أنابيب مجوفة، وبأطوال تصل إلى بضعة كيلومترات؛ لتصنع النطف، ومن جدارها الداخلي حيث تتطور خلايا الجدار لتصل إلى مرحلة النطفة برأس طوله ٥ميكرونات وذنب طوله ٥٥ميكرون، وتعتبر النطفة حاملة لإمكانية خلق نصف إنسان، ويجب أن نعلم أن دفقة المني الواحدة عند الرجل قد تصل إلى ٥٠٠مليون حيوان منوي، ولا يتخلق الإنسان إلا من نطفة واحدة فقط، بل إن التوأم أيضاً قد يتخلق من نطفة واحدة اندمجت ببيضة واحدة، كما قد يتخلق من تلقيح بيضة بحيوانين منويين، وعدد الأنابيب المنوية في الخصية حوالي (٤٠٠٠) أنبوب منوي.

٢٣ـ تعتبر الخلايا الدماغية من أنبل الأعضاء؛ لأنها تمثل حكومة البدن العاقلة العالمة المخلصة، وباقي الجسم الشعب المتفاني في الطاعة والولاء، ولذا فإن الدماغ مغلف بثلاثة أغلفة فضلاً عن التصفيح العظمي؛ بحيث يعتبر الرأس كصندوق محكم الإغلاق، وبين الأغلفة يتسرب سائل خاص، هو السائل الدماغي الشوكي الذي يقوم بفعل ماص للصدمات، وهذا الإتقان المحكم جعل علماء الفضاء يصممون نفس الطريقة لحماية القمرة الصناعية بإيجاد الغلافات، والسائل على نفس الطريقة، ونلفت النظر إلى أن الجنين في رحم الأم أيضاً مغلف بثلاثة أغشية خاصة؛ فضلاً عن الغلاف العضلي الرحمي.

٢٤ـ تحت سطح الجلد يوجد حوالي ٥-١٥ مليون مكيف لحرارة البدن، والمكيف هنا هو الغدة العرقية؛ لأن تبخر العرق من الجلد يمتص معه نسبة عالية من حرارة البدن، وسطح الجلد الذي يبلغ ١،٨ متر مربع، تتفاوت فيه الغدد العرقية قلة وكثرة، والغدة العرقية هي أنبوب متعرج طويل لضخ سائل العرق الذي يمتاز بصفات خاصة، ويبلغ إفرازه اليومي حوالي اللتر، ومجموع أطوال أنابيب الغدد العرقية الموجودة تحت الجلد حوالي ٤-٥ كيلومترات.

٢٥ـ إن الرغامى[١] عند الإنسان تتفرع إلى قصبات، وقصيبات، حتى تصل إلى مستوى الأسناخ[٢]، ويبلغ عدد الأسناخ في الرئتين

(١) أي القصبة الهوائية.

(٢) الشعب الهوائية الدقيقة.

حوالي (٧٥٠) مليون سنخ رئوي، وكل سنخ يتمتع بغلاف رقيق ويتصل بجدار عرق دموي صغير، وهكذا يتم تصفية الدم بسحب غاز الفحم، ومنح الأكسجين اللازم للبدن.

إن شبكة الأسناخ تفرش مساحة تصل إلى ما يزيد على (٢٠٠) متر مربع لتصفية الدم، وفي الحالة الطبيعية لا يستخدم أكثر من عشر هذه الأسناخ، وفي الأزمات ينفتح مزيد من الأسناخ.

٢٦ـ يقوم اللسان بالمضغ، والبلع، وذوق الطعام، والتصويت، فيه ١٧ عضلة تحركه إلى كافة الجهات، وثلاثة أعصاب لتنظيم نقل الحس، وعلى سطح اللسان يوجد ٩٠٠٠ نتوء ذوقي لمعرفة طعم الحلو، والحامض، والمر، والمالح.

وإن حركة اللسان في أي اتجاه ينتج حرفاً معيناً، وبذلك يستطيع الإنسان أن ينطق بفصاحة.

وأثناء المضغ، والبلع تفرز ست غدد بفوهات ستة اللعاب إلى الفم لتطرية الطعام، وتهيئته المبدئية بالاشتراك مع ٣٦ جهاز قاطع وطاحن وهي الأسنان.

٢٧ـ تعتبر النخامة ملكة الغدد الصم في البدن، ومفتاح التأثير على بقية الغدد، فهي تفرز تسعة هورمونات من ثلاثة فصوص تنظم النمو، وإدرار اللبن، وتوزيع الأملاح في البدن، وتنظيم شحنة الجنس، وتوزيع الأشعار، وإعطاء صفات الجنس الثانوية، وتنظيم توتر العروق الدموية، وصباغ الجلد بما يناسب، ودفع الرحم للتقلص في المخاض.

وكل وزن هذه الغدة لا يتجاوز النصف غرام وأبعادها بالملمترات.

٢٨ـ يعتبر الكبد أكبر غدد البدن؛ إذ يزن ١٥٠٠غرام، ويحوي ٣٠٠ مليار خلية، يمكن أن تجدد كلياً خلال أربعة أشهر، فخلاياه أسرع من خلايا الجنين المعروفة بسرعة الانقسام، ووظائف الكبد مدهشة ما بين مستودعات السكر، والدهن، والفيتامين، أو احتجاز السموم وقلبها إلى مواد غير ضارة، أو تحويل الفضلات؛ مثل النشادر الناتج عن فضلات البروتين، إلى مادة غير ضارة هي البولة، ويبقى الكبد مركز التموين الرئيسي لسكر الدم، وبروتينات الدم، والحفاظ على تخثره بتكوين مولد الليفين، كما يقوم بإفراز الأصبغة، وتكوين الكولسترول ذي الشخصيات السبعة.

٢٩ـ لقد ثبت: أنَّ الخلية المعوية، تولد، وتعيش، وتموت في ٤٨ ساعة، وتتجدد الخلايا المعوية باستمرار، ولا يتبع هذا النظام في الجسم إلا الدم، مع العلم أن طول الأمعاء حوالي ٨ أمتار وتفرش مساحة ٤٠متر مربع للامتصاص بزغابات معوية تبلغ المليارات؛ حيث يتم امتصاص كافة أنواع الأغذية والماء والأملاح، والفيتامينات، بل المواد الضارة أحياناً.

٣٠ـ تزن الكلية الواحدة ١٥٠ غراماً، فيها مليون وحدة وظيفية لتصفية الدم تسمى (النفرونات)، ويرد إلى الكلية في مدى ٢٤ ساعة ١٨٠٠لتر من الدم، ويتم رشح ١٨٠لتر منه، ويعاد امتصاص معظمه، ويطرح منه حوالي ١،٥ لتر، وهو المعروف بالبول، ويبلغ طول أنابيب النفرونات حوالي (٥٠) كيلو متراً، وبهذه الطريقة يتم تصفية الدم من كل شوائبه ـ وبشكل مدهش ـ وكأننا نرى أمانة العاصمة وهي تنظف، ليس مرة واحدة في اليوم بل ٣٦ مرة، ويزيد.

ولا تقف وظائف الكلية عند التصفية، بل فيها جهاز منبه مصنع العظام (النقي) لتنظيم إفراز عناصر الدم، كما أن فيها جهازاً منظماً لضغط الدم بالتعاون مع الكبد، وهو ما يسمى بـ (الهايبرتنسين Hypertensin) وفوق الكلية تتربع غدة تزن سبعة غرامات وهي الكظر، وتفرز من قشرها عشرات الهورمونات المنظمة للسكاكر، والأملاح، والماء، في البدن، ولإقرار شحنة الجنس، كما أن لب هذه الغدة يفرز مادة الأدرينالين المنظمة لتوتر الدم.

٣١ـ يضخ القلب يومياً ٨٠٠٠لتر من الدم، داخل الجملة الدورانية التي تمتد حوالي (١٥٠) كيلومتر طولاً عبر كل أنسجة البدن، ناقلة الدم بما فيه من غذاء وأكسجين، ويكفي أن نعرف حيوية النقل عندما يتخرب الدماغ بشكل لا رجعة فيه، عندما ينقطع ورود الأكسجين عنه لمدة خمس دقائق فقط.

٣٢ـ تبلغ سماكة الجلد مقداراً متفاوتاً ما بين ٠,٥ ملم على جفون العين، إلى ٦ملم في أخمص القدمين.

وباستثناء بعض المناطق في الجلد مثل: باطن اليد، وكعب القدم، فإن الجلد في جميع المناطق مغطى بالشعر، ويختلف العدد من ٤٠ إلى أكثر من ٨٠٠شعرة/ سم المربع.

كما يوجد في كل سنتمتر مربع ٣٠٠ مسام عرقي، وهذه المسام تسمح بخروج السوائل منه إلى خارج البدن، ولا يسمح بالعكس؛ أي: دخول السوائل من خارج الجسم إلى داخله، في صمام في اتجاه واحد.

٣٣ـ الحبل الشوكي قطره حوالي ١سم، وطوله حوالي ٤٥سم، يتفرع منه ٣١ زوج من الأعصاب.

ويوجد في الإنسان حوالي ٨٠٠,٠٠٠ خلية عصبية في القرن الأمامي للحبل الشوكي، وينتج شلل الأطفال إذا أصاب التدمير الثلثان[١] فأكثر.

وتعتبر القرون الأمامية في النخاع مسؤولة عن تحريك العضلات؛ في حين تعتبر المراكز الخلفية مسؤولة عن نقل كافة أنماط الحس: الألم، الحرارة، البرودة، الضغط، اللمس، الحس العميق. . . إلخ.

٣٤ـ لا يمكن أن تتشابه بصمتان في العالم، سواء ما مر من تاريخ وجود الإنسان على الأرض، أو حالياً بتعداد البشرية الذي بلغ ٣٨٠٠مليون إنسان[٢] أو ما يتوقع للمستقبل من مجيء بشر جدد لعمارة الكون، إن هناك قانون حيوي[٣]، وهو أن الطبيعة (والتي خلقها الله) لا تكرر نفسها مطلقاً، على مستوى النبات، والحيوان، أو الإنسان، ويعود السر إلى مئة ميزة للبصمة، بحيث إن تفريعاتها تصل إلى حد إصابة الإنسان بالدوار، عندما يتصور احتمال تطابق البصمتين، سواء بين إنسان، وآخر، أو في الإنسان الواحد بين أصبع، وأخرى من أصابعه العشرة، كما لا يتم تطابق بصمات أصابع التوأمين، ولتقريب فكرة احتمال تطابق بصمتين،

(١) كذا ورد والصواب: الثلثين.
(٢) وهذا زمن كتابة الكتاب وإلا فهم اليوم أكثر من ستة مليارات.
(٣) الصواب: قانوناً حيوياً.

فإن هناك فرصة واحدة من أصل سبتيلون مرة، وهذا الرقم يمكن تصوره إذا قام البشر الموجودون حالياً على وجه الأرض جميعاً بدون استثناء بما فيهم الأطفال، والنساء، والمرضى بوضع ثلاث جرات قلم، في الثانية الواحدة على الورق، والاستمرار في ذلك حوالي ثلاثة ملايين من السنين بدون نوم أو راحة أو تناول طعام، فإن هذا الزمن يمثل إمكانية تكرر هذه الفرصة الوحيدة!!!

إن هذا الأمر العجيب جعل دول العالم اليوم تتبنى البصمات كعلم إثبات يقيني في تعيين شخصية الإنسان، لما فيها من ثبات، وفردية بدءاً من أول هذا القرن[١]، يكفي أن نعلم أن بصمات مومياء مصرية أخذت وكأنها بنت اليوم، وكذلك بصمات جثة في الدانمرك أرجعها الأخصائيون إلى ما يزيد على ٢٠٠٠ سنة، إن هذا يذكرنا بإعجاز القرآن العلمي: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: ٤].

٣٥ـ يحتاج الدماغ يومياً إلى ١١٥ غرام من الغلوكوز، وكمية من الفوسفات، و١٠-١٥٪ من الأكسجين الذي يحتاجه الجسم، ولكمية من الدم لا تقل عن ١٠٠٠ لتر، فإذا نقصت هذه المواد؛ تقاعس الدماغ عن القيام بعمله الحيوي[٢].

وإليكم هذا البحث اللطيف للأستاذ الدكتور خالص جلبي بعنوان وزارات الجسم:

يمكن أن يشبه الجسم إلى حد بعيد بالأمة والدولة، فالخلايا هي أفراد الشعب العامل، وتجمع الخلايا في عمل واحد يشبه المديريات

---

(١) أي القرن العشرين.

(٢) «الطب محراب الإيمان»: ٢/ ٢٩٧-٣٠٧.

والمؤسسات، والاختصاصات في الجسم تشبه الوزارات إلى حد ما، فالجهاز العصبي المركزي هو بمثابة السلطة الحاكمة المهيمنة، المخلصة، العاقلة، العالمة، والجسم كله يمثل الشعب المتفاني في الطاعة، وتقديم الولاء.

وأما جهاز الدوران؛ فهو يجمع بين خاصية نقل الغذاء، والأكسجين إلى الأنسجة العطشى الجائعة، وإرجاع بقايا الاحتراق ونفايات الغذاء، فهذا الجهاز يعبّد الطرق، ويشق الممرات ويحسن الوصل، ولذا فهو أشبه بوزارة المواصلات.

وأما الجهاز الهضمي؛ فهو ينقل إلى الأمعاء النشويات، والبروتينات، والدسم، والماء، والأملاح المعدنية، والفيتامينات، ويلقي الفضلات والقمامة التي لا يحتاجها البدن، ولذا فإن هذا الجهاز أشبه بوزارة التموين في الجسم.

وأما الغدد العرقية؛ فهي أشبه بوزارة السياحة، والاصطياف؛ لأنها تبرد الجسم، وتخفف من حرارته.

وأما الجلد، واللُّحُف[1]، والأظافر، والأشعار؛ فهي تمثل الإنسان من الخارج، فهي أشبه بوزارة الخارجية!!

وأما جهاز التنفس؛ فهو يأتي بالغازات الضرورية للبدن، مثل الأكسجين، ويطرح غاز الفحم، وهكذا يتصفى الدم من الكدر، ولذا فهو أشبه بوزارة الاقتصاد؛ لأنه يستورد ويصدر.

---

(١) قال المؤلف: يقصد باللحف الأغشية الخارجية التي تغطي الفوهات الخارجية، مثل العين حيث تغطيها الملتحمة، والفم من الداخل الغشاء المخاطي وهكذا.

أما العضلات، والمفاصل، والعظام، فهي أشبه بوزارة الدفاع، أو الحربية والجيش؛ لأنها تدافع عن الإنسان، كما تقوم بالهجوم إذا لزم الأمر.

وأما الكبد؛ فهو مركز الجمارك العام، لأن كل ما يرد إلى البدن من الطريق الهضمي يمر فيه حيث يبعد المشتبه به، ويدخل المرغوب فيه، كما يعدل الشيء المشكوك به، ويرسل معه مراقباً حتى يلقيه خارج الحدود عن طريقة الكُلية، وهو ما يعرف بالازدواج الكبريتي، أو الغلوكوروني، لأن هاتين المادتين تترافقان مع المادة التي ستطرح إلى الكلية.

وأما الطحال؛ فهو المقبرة الموحشة للكريات الحمر؛ لأن الكرية لا تعيش أكثر من شهرين وسطياً، حيث تنقل إلى الطحال وتُوارَى مثواها الأخير، وطريقة الدفن في الطحال عجيبة؛ فهي أشبه ما تكون بطريقة الدفن عند المسلمين، حيث يدفن الجثمان، ويرجع بالتابوت خلافاً لطريقة الآخرين، الذين يدفنون الجثمان والتابوت جميعاً، ومظهره هنا العودة بذرة الحديد مرة أخرى، حتى يستفيد منها الجسم في بناء كريات حمر جديدة!!

وأما النخاع الموجود في باطن العظام، وأماكن أخرى متناثرة في الجسم؛ فهي أشبه ما تكون بوزارة الصناعة؛ لأنها تصنع الكريات الحمر، والبيض، والصفيحات، وعناصر أخرى كثيرة.

وأما الجهاز البولي؛ فهو أشبه بوزارة الداخلية، لأنها تطرح العناصر المشتبهة خارج الحدود، وتحافظ على نظام البدن الداخلي؛ حتى يتزن، ولا يتقلب، كما تنظم السوائل الداخلة، والخارجة حتى لا

يحصل العبث بالنظام الداخلي، ولذا فهي مصفاة البدن الكبيرة والمحافظة على الاتزان الداخلي.

وأما الحواس؛ فهي امتدادات وزارة الخارجية، أي: الجلد.

وأما اللسان، وأعضاء التصويت؛ فهي وزارة الإعلام التي تذيع الأخبار وتبث الأحاديث، وتنقل الأفكار والمفاهيم، والإذاعة هي مراكز التصويت المتجمعة في الحبال الصوتية، والحنجرة، وغضاريفها! واللسان وعضلاته، والجمجمة وحفرها، والشفة ومقدم الفم.

وبقي أن نتساءل: أين تقع وزارة الأوقاف بين هذه الوزارات؟

والجواب: إنه لا حاجة لمكان تحدد فيه لأن الجسم، وغدده، وأخلاطه، ودمه، ولمفه، وعروقه، وأعصابه، وشعره، وجلده، كله يمشي وفق الناموس الذي رسمه له الخالق العظيم، فكل خلاياه، وأنسجته، وأعضائه، وأجهزته إنما هي في حالة عبادة، واستسلام، وإسلام لله رب العالمين، فليس هناك من مكان يخصص لعبادة الله، والتفرغ له، وأماكن أخرى تخصص لعبادات أخرى ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يُوسُف: ٣٩] الكل يعبد ويسبح الله، والكل يصلي لله وفق اختصاصه، فالدم يصلي في جريانه، والرئة تصلي في تنفسها، والقلب يصلي في نبضاته، والعصب يصلي في سريانه ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النُّور: ٤١].

ونقف هنا لنلفت نظر القارئ، ولنحرك وجدان الطبيب، والعالم:

إن الإنسان سخر له الكون، وهو يتصرف فيه كما يشاء، وتتخصص طوائف البشر في الصناعات والحرف تعالج عللها، وتكتشف أسرارها، وتسخر سننها، ولكن أخطر الاختصاصات هو الذي ينصب

على نفس الإنسان، فالإنسان يختص بدراسة كل الكون، والطبيب يختص بمفتاح هذا كله وهو الإنسان، فماذا أثمرت هذه الدراسة؟

إن كاتب هذه السطور درس الطب سبع سنوات طويلة مليئة من عمره، فلم يسمع كلمة الله! من أحد الذين يختصون بالدراسات الطبية العميقة، سواء على مستوى الطب الطبيعي، أو على مستوى الطبي المرضي[1]، إلا أن تذكر الكلمة عرضاً وبسرعة، أو أن يفتتح الكتاب بجملة بسم الله الرحمن الرحيم، ثم تقرأ، وتقرأ مئات الصفحات حتى تفرغ من الكتاب، فلا تشعر بلمسة إيمان، أو نبضة روح من المؤلف أو المترجم أو الناقل، آيات تمر، ومعجزات تسطر، ومع هذا لا يتحرك وجدان، ولا تستيقظ نفس:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يُوسُف: ١٠٥]، وحقاً إن الآية بالذات لا فائدة منها إلا للمتفكر والمتأمل والمتدبر: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يُونس: ١٠١].

(١) نستثني من هذا الكلام بعض الأساتذة، ولكن كما هو معروف في إطلاق القواعد أن الحكم للأغلبية، وليس للأقلية، فضلاً عن أفراد معدودين على رؤوس الأصابع.

ضوابط وقيود في الخلق

قال كريس موريسون رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك:

«ما أعجب نظام الضوابط والموازنات الذي منع أي حيوان، مهما يكن من وحشيته، أو ضخامته، أو مكره، من السيطرة على العالم منذ عصر الحيوانات القشرية المتجمدة، غير أن الإنسان وحده قد قلب هذا التوازن الذي للطبيعة بنقله النباتات، والحيوانات من مكان إلى آخر، وسرعان ما لقي جزاءه القاسي على ذلك ماثلاً في تطورات آفات الحيوان، والحشرات، والنبات».

والواقعة الآتية فيها مثل بارز على أهمية تلك الضوابط فيما يتعلق بوجود الإنسان. فمنذ سنوات عديدة، زرع نوع من الصبار (Cactus) في استراليا، كسياج وقائي، ولكن هذا الزرع مضى في سبيله حتى غطى مساحة تقرب من مساحة انجلترا، وزاحم أهالي المدن والقرى، وأتلف مزارعهم، وحال دون الزراعة، ولم يجد الأهالي وسيلة لصده عن الانتشار، وصارت استراليا في خطر من اكتساحها، بجيش من الزروع صامت، يتقدم في سبيله دون عائق!

وطاف علماء الحشرات بنواحي العالم حتى وجدوا أخيراً حشرة لا تعيش إلا على ذلك الصبار، ولا تتغذى بغيره، وهي سريعة الانتشار وليس لها عدو يعوقها في استراليا، وما لبثت هذه الحشرة حتى تغلبت على الصبار، ثم تراجعت، ولم يبق منها سوى بقية قليلة للوقاية، تكفي لصد الصبار عن الانتشار إلى الأبد.

وهكذا توافرت الضوابط والموازين ـ وكانت دائماً بجدية ـ ولماذا لم تسيطر بعوضة الملاريا على العالم، إلى درجة كان أجدادنا يموتون معها، أو يكسبون مناعة منها؟ ومثل ذلك أيضاً، يمكن أن يقال عن بعوضة الحمى الصفراء التي تقدمت شمالاً في أحد الفصول حتى وصلت إلى نيويورك، كذلك البعوض كثير في المنطقة المتجمدة، ولماذا لم تتطور ذبابة (تسي تسي) حتى تستطيع أن تعيش أيضاً في غير مناطقها الحارة، وتمحو الجنس البشري من الوجود؟ يكفي أن يذكر الإنسان الطاعون، والأوبئة، والجراثيم الفاتكة، التي لم يكن له منها وقاء حتى الأمس القريب، وأن يذكر كذلك ما كان له من جهل تام بقواعد الوقاية الصحية، ليعلم أن بقاء الجنس البشري رغم ذلك يدعو حقاً إلى الدهشة!.

إن الحشرات ليست لها رئتان كما للإنسان، ولكنها تتنفس عن طريق أنابيب، وحين تنمو الحشرات، وتكبر لا تقدر تلك الأنابيب أن تجاريها في نسبة تزايد حجمها، ومن ثم لم توجد قط حشرة أطول من بضع بوصات، ولم يطل جناح حشرة إلا قليلاً، وبفضل جهاز تكوين الحشرات وطريقة تنفسها، لم يكن في الإمكان وجود حشرة ضخمة، وهذا الحد من نمو الحشرات قد كبح جماحها كلها، ومنعها من السيطرة على العالم. ولولا وجود هذا الضابط الطبيعي، لما أمكن وجود الإنسان على ظهر الأرض. وتصور إنساناً فطرياً يلاقي زنبوراً يضاهي الأسد في ضخامته، أو عنكباً (عنكبوتاً) في مثل هذا الحجم.

ولم يذكر إلا القليل عن التنظيمات الأخرى المدهشة في فيزيولوجيا الحيوانات، والتي بدونها ما كان أي حيوان ـ بل كذلك أي نبات ـ

يمكن أن يبقى في الوجود، غير أن هذه الحقائق قد بلغت من الأهمية العظمى بحيث يجب ذكرها.

كذلك عاش الإنسان ملايين السنين، قبل أن يعرف وظائف المعامل الكيماوية الصغيرة المعروفة باسم الغدة الصماء؛ التي تمدُّه بالتركيبات الكيماوية الضرورية له ضرورة مطلقة، والتي تصنعها، وتسيطر على وجوه نشاطه، وفضلاً عن ذلك، فإن تلك الموارد التي بلغت من القوة أن جزءاً من بليون منها يحدث آثاراً بعيدة المدى، وهي مرتبة ينظم كل منها غيرها، ويضبطه ويوازيه، ومن المتفق عليه أنه إذا اختل توازن هذه الإفرازات المعقدة تعقيداً مدهشاً، فإنها تحدث اختلالاً ذهنياً، وجسمانياً بالغ الخطر، ولو عمَّت هذه الكارثة؛ لاندثرت المدنية، وانحطت البشرية إلى حالة الحيوانات، هذا إذا بقيت على قيد الحياة.

على أننا إذا أكدنا هذه الضوابط، والموازين، والقيود وحدها ـ التي بدونها تتوقف الحياة كما نعهدها ـ فإن بقاء الإنسان على قيد الحياة يواجهنا بمسألة حسابية، تستحق قدراً كبيراً من العناية عند أنصار المصادفة[(١)].

أي: إن هذا العالم يرد على القائلين؛ بأن الكون وُجد صدفة، وهي فرية سخيفة.

(١) «العلم يدعو إلى الإيمان»: ١٥٩-١٦٣.

بيان مدى اتساع الكون

كوكب الأرض هو جزء من النظام الشمسي، ففي هذا النظام يوجد تسعة كواكب أساسية، مع أربعة وخمسين تابعاً (قمراً) وعدد غير معروف من النجميات: (كويكبات صغيرة كالجبال مختلفة الأحجام وتسبح في الفضاء)، تدور حول نجم واحد يدعى الشمس، والشمس هي نجم متوسط الحجم بالمقارنة مع غيره في الكون، والأرض هي الكوكب الثالث بعداً عن الشمس.

لنحاول أولاً أن نفهم حجم هذا النظام، إن قطر الشمس هو أكبر بمئة وثلاث مرات من قطر الأرض، ولكي نتخيل ذلك نقول إن قطر الأرض هو ١٢,٢٠٠كيلومتر، فإذا خفضناه سلمياً (عددياً) لأبعاد كرة زجاجية، فالشمس سوف تكون بحجم ملعب كرة القدم.

قد يبدو ذلك ضخماً جداً، ومع ذلك فالنظام الشمسي ضئيل جداً في الحجم إذا قورن بالطريق اللبني، والذي هو مجرة تسبح فيه تلك الهباءة.

ويوجد في تلك المجرة أكثر من ٢٥٠بليون نجم، بعضها يشبه شمسنا والبعض الآخر أكبر من ذلك وبعضها أصغر، مع مسافات بينهما محيرة للعقل من ناحية اتساعها، والشمس أقرب إلى طرف المجرة ـ والتي لها شكل الحلزون ـ أكثر من مركزها.

حتى لو كانت مجرة الطريق اللبني مقزمة بالمقارنة بالاتساع الهائل لكل الكون، فهي واحدة من عديد المجرات التي ربما بلغ عددها ٣٠٠بليون مجرة وذلك وفق الحسابات الحالية[١].

لغة الحيوان:

قال الأستاذ عبدالرزاق نوفل:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ [النَّمل: ١٨].

أثبت العلم أن للحيوان لغته الخاصة، فلكل نوع من أنواع الحيوانات لغة خاصة به، يتفاهم بها، ويتعارف مع غيره على أحوال ما حوله.

فهذه هي الدجاجة التي تصدر أصواتاً مميزة، فنرى صغارها أقبلت في سرعة تلتقط معها الحب، وتصدر أصواتاً مخافة، فإذا بالصغار تهرول إلى العش في لحظة.

ويقول (ألن ديفو) أحد علماء الحيوان: إنه وقف يوماً يراقب ثلاثة من صغار الثعلب تلعب حول أمها، وإذا بصغير منها يدخل في الغابة، ويبتعد عنها بعداً بحيث غاب عن النظر، فاستوت الأم قائمة ومدت أنفها إلى الناحية التي ذهب منها، وبقيت على حالها هذه برهة عاد بعدها الصغير في اتجاه أمه لا يلتفت يمنة أو يسرة، كأنما كانت تجذبه بخيط لا تراه العين، ومن الدراسات المماثلة أمكن لعلماء الحيوان تعلم لغة الحيوانات.

(١) هذه النقولات نقلتها بتصرف من موقع الأستاذ عبدالدايم الكحيل من شبكة المعلومات.

والنحلة إذا عثرت على حقل مزهر عادت إلى الخلية، وما إن تتوسطها حتى ترقص رقصاً خاصاً، فإذا بالنحل يندفع إليها، ويسير خلفها إلى حيث تهديه النحلة إلى الزهور.

ويقول اللورد (أفبري): أنه طالما أراد أن يمتحن عقل النمل، والوقوف على طريقة التفاهم بين أفراده، فمما فعله في هذا السبيل أنه وجد يوماً نملة خارجة وحدها من جحرها، فأخذ ذبابة ولصقها على فلينة بدبوس، وألقاها في طريق النملة، فما إن عثرت عليها، حتى أخذت تعالجها بفمها وأرجلها مدة تزيد على العشرين دقيقة، فعادت أدراجها إلى جحرها، وبعد ثوان معدودة، خرجت النملة تتقدم نحوها و معها اثنتي عشرة نملة من أخواتها، انتهت بها إلى الذبابة، ثم وقع عليها النمل يمزقها تمزيقاً، وعاد النمل إلى جحره وكل منها تحمل جزءاً من الذبابة، فالنملة الأولى قد رجعت إلى زميلتها ولم يكن معها شيء قط، فكيف تم لها أن تخبر باقي النمل بأنها وجدت طعاماً سائغاً، وفريسة شهية ما لم يكن تم ذلك بلغة خاصة. . . !!![1]

ويتكلم نمل الشجر في المناطق الاستوائية بلغة عجيبة، إذ يصعد إلى الشجرة ويدق دقات غير منتظمة، تقارب إشارات مورس التلغرافية، ويبلغ من قوتها أن تسمع من بعيد. . !!

وما صرير صرصار الغيط، الذي كثيراً ما يسمع في الليل الدافئ في الحدائق والمزارع، إلا دعوة منه لأنثاه إذا بعدت عنه، وكذلك نقيق الضفادع الذي لا يحدث إلا ليلاً.

---

(١) قد أخبرنا تعالى في كتابه العزيز: أن للنمل لغة خاصة به، فقد قال جل من قائل: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النَّمل: ١٨].

وقد لوحظ أن أسراب الفيلة لا تكف لحظة عن غمغمة، طالما هي تسير في رهط، فإذا تفرقت الجماعة، وسار كل فيل على حدة انقطع الصوت تماماً.

وأصوات الغراب مميزة تميزاً واضحاً، فنعيبه أكبر دليل على الخطر، وهو يصدره ليحذر به أبناء جنسه، بينما يصدر في مرحه ولعبه أصواتاً أخرى تقرب من القهقهة، ومما يثبت تفاهم جماعات الغربان ما تأتيه في حياتها من أمور تكاد تكون عجيبة؛ إذ المتداول: أن الغراب من الطيور الحقيرة التي يمرُّ عليها الإنسان دون انتباه، ويقول «اكلاند»: إنَّ الغراب يفوق الطيور الأخرى الأكبر منه حجماً، والأقوى منه، بسبب مكره الممتاز، وبالرغم من أن الغراب لصٌّ، وفيه عيوبٌ أخرى: من سفاهةٍ، ودناءةٍ، وخسَّةٍ،فهو طائر مسلٍّ عندما تراقبه، راقب جماعة من الغربان وقت نومها، تجد: أنه بعد محادثة طويلة ذات ضوضاء مع جيرانها، وانتقالها من مكان إلى آخر، يستقر العجوز على فرع شجرة، ويبدأ في التأهب للنوم مبكراً، وما يكاد يفعل حتى تأتي بعض الغربان الأشقياء، تدور حوله مرة أو مرتين، ثم تحط بجواره حتى يوشك أن يفقد توازنه، أو تصطدم به عمداً لزحزحته من مكانه، فيعلو صراخه لانتهاك حرمته، وإقلاق راحته، بصوت مميز، وتتكرر هذه المحاولات، وتصيح صغار الغربان بأصوات ضاحكة تعلن عن فرحها، وليس هناك أدنى شك في أن الغربان مغرمة بالهزل، وتنظم الألعاب لنفسها.

ومما لوحظ في دراسة حياة الغربان: أنها تحبُّ كل الأشياء التي تبرق في الشمس، ولكل غراب مخزنه السري الخاص به الذي قد يكون ثغرة في شجرة، أو تحت سقف برج قديم، أو خلف حجر في

كوبري (جسر)، وقد وجد أن بأحد المخازن التي أمكن اكتشافها من دارسي حياة الغربان، قطعة من مرآة مكسورة ويد فنجان، وقطعة من صفيح، وأخرى من معدن، وأشياء تافهة متنوعة كلها تتفق في أنها تتألق في الشمس.

ويفهم الحيوان لغة الإنسان؛ ويستجيب لها، كما يدعو الإنسان الدجاج إلى الغذاء بصوت معروف، ويدعو الإوز، والبط بصوت مغاير، ويدعو الدواب إلى الشراب بالصفير، كما يستطيع الأولاد في الريف عند صيد السمك من جذبه قريباً منهم بأصوات خاصة، وكلنا نعلم: أنَّ الكلب في المنزل يعرف بل ينفذ أوامر سيده، وفي أمريكا رجل اسمه (جاكماينز) تخصص في دراسة الإوز البري، وبلغ من علمه بلغتها: أنَّه يستطيع أن يدعو سرباً طائراً إلى النزول، حيث يختفي وذلك بأن يخاطب الإوز بلغتها، ويخبرها بوجود بُرْكَةٍ صالحة، وطعام كثير.

وقد يستطيع الإنسان أن يبادل الحيوان لغته ويتفاهم معه، فقد كتب (مورتون طمسون) في مجلة (The American Mercury): أنَّ أخاه لويس ـ الطالب بمدرسة الطيران ـ كان يسمى (لويس الحصان) إذ أنه كان يكلم الخيل ويحادثها، وبدأ بذلك وهو طالب في مدرسة قرية في (سان دييجو) وكان بها خيول غير مروضة، كثيراً ما قضى معها لويس الأوقات الطويلة، يلاعبها ويروضها، ولم يقض إجازته، بل ولا فسحته إلا إما راكباً، أو مصاحباً حصاناً، وكان يراهن التلاميذ على أيِّ حصان يفوز في سباقها، ولم يحدث أن أخطأ مرة، ولما حاول أخوه أن يهتدي إلى سر ذلك، أجابه: إن الخيل تخبرني عن حالتها في الجري، ورأيها في راكبها، وفي المضمار، وكثيراً ما وضع ذلك موضع الاختبار والامتحان، فكان يذهب إلى حلبة الخيل في أيِّ

مكان، وكلما مر به حصان، نظر إليه لويس نظرة متسائلة بصوت معين، فيلتفت الحصان، ويلوي عنقه بهزات معينة، وهمهمة خاصة، ثم أخيراً ينطق لويس برقم الحصان الذي سيفوز، قال لأخيه يوماص: الجواد ١ يتمنى أن يربح، ولكنه لا يحب راكبه، أما الجواد ٢ فحالته اليوم سيئة، ولن يفوز. أما رقم ٣ فهو يتحدى؛ إذ أنه صمم على الفوز.

النـــوم:

قــال تــعــالــى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الرُّوم: ٢٣].

إن من أهم ما أنعم الله به على الكائن الحي النوم، وهو في الواقع دليل لا يقاربه شك على وجود الله، فالنوم عملية تتم دون أن يكون للإنسان دخل بها، ولا سيطرة له عليها، فهو في وقت معين تبدأ قواه في التناقص، وتعتريه حالة من الاستعداد للنوم، ثم لابد بعد ذلك من أن ينام، وأهمية النوم يمكن إدراكها بالتجارب التي أجريت على الحيوان، واتضح منها أن النوم أهم للحياة من الطعام والشراب، وقد قرر علماء روس: أنَّ التجارب التي أجريت على صغار الكلاب أثبتت: أنَّها لم تستطع الحياة لأكثر من خمسة أيام بلا نوم، بينما عاشت مثيلاتها التي تنام عشرين يوماً بلا أكل.

ولم يمكن للعلماء أن يقرروا ماذا في الجسد أثناء النوم، أكثر من أن النائم يتخلص من إجهاده الجسدي، وإرهاقه الفكري، وإن استرخاء عضلات الإنسان بنومه، تساعد على تنشيط، وتنظيم الدورة الدموية، التي تطرد من الجسم ما قد يكون سببه الإجهاد من مواد ضارة، ومن دلائل وجود الله: أن تشترك الكائنات الحية في النوم،

فالحيوانات تنام، وتصحو كالإنسان، وقد ثبت أن الحيوانات تحلم كذلك في منامها، وأن بعض الكلاب تنهض من نومها فزعة، تتلفت في كل الاتجاهات، مما يدل على أنها كانت فريسة حلم مخيف، وتنام أيضاً الحيوانات الدنيا، والأسماك والحشرات، ولو أنه من الصعب تمييز حالتها بين اليقظة، والنوم.

وقد أجريت تجارب بأن وضع بقرب الحشرات، أو الحيوانات ليلاً ما يثيرها، ويفزعها، فلم تتحرك حتى الفجر، بينما ظهر عليها بعض الاختلاف في المظهر بعد الفجر؛ إذ تصرفت تصرف الخائفة الفزعة.

ومن أرحم آيات الله، أن الطير ينام على غصنه، لا يقع، بالرغم من أن قبضة الطائر لابد أن تسترخي، كباقي عضلاته حين يغلبه النعاس، إذ أن الأوتار التي تحدث البسط والقبض في مخلب الطائر، تلتف حول مفصل ساقه، فحين ينام ويثني ثقل جسمه هذا المفصل، تشد الأوتار مخلبه، فيزيد تشبث قبضة الطائر على غصنه، ويتم ذلك دون تفكير، بل دون أن يعيها، أو يحسها الطائر!!.

وقد قرر علماء النبات: أنَّهم بدراسة الأزهار، والتطورات التي تشملها في كل وقت؛ اتضح لهم: أنَّ النبات ينام كما ينام كل كائن حي، ومشاهد النوم تظهر واضحة جلية في الأزهار، ومما يثبت أن تفتح الأزهار لا دخل له بالشمس والضوء، ما نراه في الأزهار التي تختص بها فراشات الليل؛ إذ تتفتح أزهارها، في الليل، وتكون في تمام تفتحها عند منتصف الليل، سواء أكانت الليلة قمرية، أم مظلمة، وهناك أزهار تقفل أوراقها، وتستسلم للنوم العميق ظهراً؛ حتى أولاد الفلاحين في الجهات التي تنمو فيها هذه الأزهار، يعرفون غذاءهم من نومها[١].

---

(١) هذه النقولات نقلتها بتصرف من موقع الدكتور عبدالدايم الكحيل من شبكة المعلومات.

جوانب من عظمة الكون

قال اللواء المتقاعد سعد شعبان[١] ما يلي موضحاً جوانب من عظمة الكون:

طبيعة القمر:



القمر هو تابع الأرض الوحيد، وأقرب أجرام السماء إليها؛ إذ يبلغ بعده عنها ٢٣٩،٠٠٠ ميل في المتوسط، وهو تابع صغير يزيد قطره عن ١/ ٤ قطر الأرض بمقدار طفيف.

ويدور القمر حول الأرض؛ التي تعتبر بمثابة الأم بالنسبة له، فالقول المرجح: أنَّه كان جزءاً منها، ثم انفصل عنها، وهما في حالة انصهار عند بدء تكون المجموعة الشمسية.

(١) لواء أركان حرب متقاعد، وعضو العديد من الجمعيات العلمية، وله عشرات الكتب في الثقافة العلمية.

وكما يدور القمر حول الأرض كل ٢٧يوماً وثلث يوم، يدور كذلك حول محوره دورة كاملة خلال نفس المدة، ولذلك لا يظهر لنا من سطحه إلا وجه واحد فقط، أما الوجه الآخر؛ فيعتبر مختفياً بالنسبة لأهل الأرض، يتعذر النظر إليه. ولم يتيسر معرفة تفاصيله؛ إلا بعد ما أطلق الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٩م أحد الأقمار الصناعية (لونيك ـ ٣) فدار حول القمر، وصور نصفه المختفي.

والناظر إلى سطح القمر يرى بقعاً لامعة، وظلالاً سوداء، وما ذلك إلا لانعكاس ضوء الشمس على قممه العالية. فسطح القمر عليه سلاسل من الجبال العالية، كما أن به منخفضات وشقوق عميقة. ويطلق على هذه المنخفضات مجازاً اسم البحار والمحيطات رغم خلوها من قطرة ماء.

وقد مسح الإنسان القمر بالمناظير المقربة منذ عدة قرون، ورسم لهذا السطح الخرائط، وأطلق على مرتفعاته ومنخفضاته الأسماء، ثم صور وجهه المختفي، بالأقمار الصناعية، وبسفن الفضاء، وسميت تفاصيل هذا الوجه بأسماء مشاهير العلماء.

المحطة الكونية الثانية: الكواكب:

للأرض ثماني أخوات هي الكواكب، وتكون المنظومة الشمسية، وهي تحتل المركز الثالث في تسلسل البعد عن الشمس، ويبدأ هذا التسلسل بكوكب عطارد، ثم الزهرة، ثم الأرض، ويليها المريخ، ثم المشتري، ثم زحل، فأورانوس، ونبتون، ثم بلوتو. وكل الكواكب تدين بولاء الجاذبية للشمس، في أفلاك متباعدة أو مدارات بيضاوية (Ellipse)! بحيث تكون الشمس في إحدى بؤرتي هذا الشكل البيضاوي أو الإهليلجي.

وأقرب الكواكب للأرض هو الزهرة: ٤١ مليون كيلو متر، ويليه المريخ: ٧٨ مليون كم، وآخر الكواكب بلوتو الذي اكتشف عام ١٩٣٠م يبعد عن الشمس ٥٩٠٠ مليون كم.

وأكبر هذه الكواكب حجماً هو المشتري؛ إذ يبلغ قطره قدر الأرض ١١ مرة، وبالتالي فإن حجمه قدر حجم الأرض ١٢٩٥ مرة، ويجذب إليه ١٢ قمراً.

ومن آن لآخر، يتردد أخبار عن اكتشاف الكوكب العاشر في المنظومة الشمسية، ولكن لم يرسخ هذا الكشف بعد.

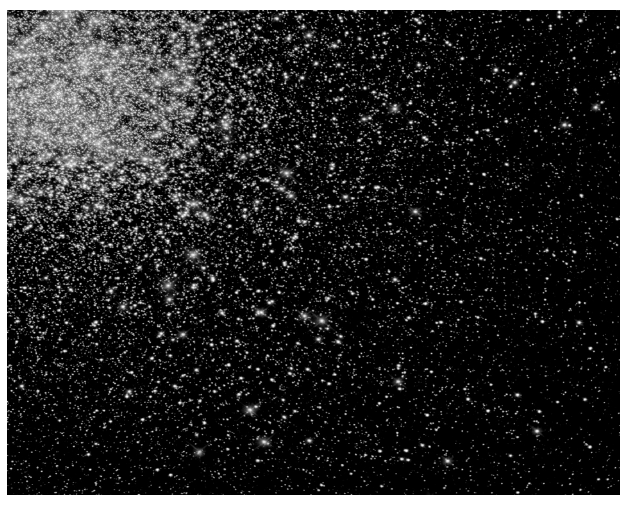
طبيعة الشمس:

الشمس أقرب نجوم السماء إلى الأرض، فبعدها يبلغ ١٥٠ مليون كيلو متر = (٩٢,٩ مليون ميل). وهي تبدو لنا ضخمة الحجم؛ إذ يعادل قطرها قطر الأرض ١٠٩ مرة، ويبلغ ٨٦٤,٠٠٠ ميل؛ لذلك فإن حجمها يبلغ ١,٣ مليون مرة حجم الأرض. وتبدو هذه الكرة النارية محدودة للناظر إليها من الأرض، لأن بعدها كبير عنا. غير أنه رغم هذه الضخامة البادية في حجمها، فإنها ليست إلا نجماً متواضع الحجم بالقياس إلى النجوم الأخرى، فكل من هذه النجوم يمكن اعتباره شمساً؛ مع فارق: أنَّ بعض هذه النجوم يفوق شمسنا في الحجم مئات، أو آلاف المرات، ولكن من رحمة الله أن أبعادها عنا مهولة، وشاسعة، ويزيد عن بعد الشمس مئات، بل آلاف ملايين المرات، فيجعلها تبدو لنا صغيرة، ولا يصل لنا من حرارتها إلا النزر اليسير.

ولقد تركز كثير من أبحاث الفضاء حول الشمس، باعتبارها نواة لمدارات كواكب المجموعة الشمسية، ولإجراء القياسات العلمية

اللازمة عن إشعاعاتها، وألسنة اللهب التي تنطلق من سطحها، وقد قامت عدة أقمار صناعية بهذه القياسات خير قيام، ونقلت للعلماء على الأرض المؤثرات الشمسية على الأرض. وسر اتقاد الشمس أنه يحدث انصهار عدد (٦٨) عنصراً، أهمها الأيدروجين، والهيليوم، تحت ضغط (٤٠ مليون ضغط جوي) ويتوالى انصهار هذه العناصر ذرياً، وتصدر عنها الحرارة، والإشعاع الضوئي مكبلاً بالضغط المهول عليها.

طبيعة النجوم:



لو شئنا عد نجوم السماء لعجزنا عن ذلك، فعددها لا يقدر بالملايين ولا بالبلايين، ولكن بلايين البلايين. ومن عجب أن تكون شمسنا ـ وهي أحد هذه النجوم ـ منفردة بتكوينها أسرة من تسعة كواكب حولها؛ هي المجموعة الشمسية. وماذا يمنع أن يكون لكل من هذه النجوم ـ أي الشموس ـ أسرها المحيطة بها كذلك؟ وما يمنعنا من رؤيتها إلا أبعادها المهولة عنا، وعجز وسائل القياس المتوفرة لدينا عن التغلغل إلى هذه الأبعاد السحيقة.

إن الملايين من هذه النجوم موغلة في الفضاء اللانهائي، إلى حد أن ضوءها يصل إلينا عبر ملايين السنين. ولقد أصبحت وحدات القياس الطولية غير ذات جدوى في قياس هذه المسافات، فاستخدمت وحدات قياس كبيرة هي (السنة الضوئية) التي تعادل المسافة التي يغطيها الضوء خلال سنة بسرعته الكبيرة، والتي تساوي ١٨٦,٠٠٠ ميل في الثانية.

وبذلك فإن السنة الضوئية تعتبر وحدة قياس للمسافات الطويلة تعادل ٩,٥ بليون كم.

وعلى سبيل المثال: فإن ضوء الشمس يصل إلى الأرض خلال ثمان دقائق وثلث دقيقة. بينما أقرب النجوم الأخرى إليها يبلغ ٤،٢ سنة ضوئية، أي: يقع على مسافة ٢٥ بليون ميل، ومعنى ذلك أن هذا النجم القريب المعروف باسم (الأقرب القنطوري) ألفاسنتوريس يبلغ بعده عن الأرض، قدر بعدها عن الشمس ٣٠٠,٠٠٠ مرة. والنجم المسمى (الطائر) يصل إلينا ضوءه خلال ١٤,٥ سنة ضوئية، أي: إنَّه يبعد عنا ٨٧ بليون ميل. والنجم المعروف باسم (النسر) يبلغ بعده ١٨٠ بليون بليون ميل، ونجم (السماك) يصل ضوؤه خلال خمسين سنة ضوئية، أي: يبلغ بعده ٣٠٠ بليون ميل.

ولا شك: أنَّ هذه المسافات ـ التي يمكن أن ننعتها بأنها خيالية ـ ثمرة قياسات علمية متوالية عبر أجيال طويلة، وهي تصور لنا مبلغ تواضع الشمس في حجمها بالنسبة لهذه النجوم. فنجم مثل (ألف الجبار) يبلغ قدر حجم الشمس ٢٥ مليون مرة، بينما يكبر نجم (القيطس) عن حجم الشمس ٣٠ مليون مرة، وكثير من النجوم الأخرى يبلغ من الكبر حدّاً بحيث يمكن أن يبتلع بداخله ملايين مثل شمسنا.

ولا ريب: أنَّ ذلك يصور لنا مبلغ ضآلة أرضنا، وشمسنا، ومجموعتنا الشمسية في الفضاء عدداً وبعداً وحجماً، ويرسم لنا من ناحية أخرى مقدار اتساع المجرة الذي يحوي كل هذه النجوم.

الكوكبات:

تتجمع النجوم في مجموعات متقاربة نسبياً، يطلق على كل مجموعة منها اسم كوكبة Constellation أو (القرى النجمية).

ولقد أولع القدماء برصد التجمعات النجمية، أي: الكوكبات، حيث يسهل رصد كثير منها بالعين المجردة في الليالي غير القمرية عندما تكون السماء صافية. وليسهل عليهم تصورها تخيلوها على هيئة حيوانات، أو أبطال، ونسجوا لها الأساطير الخرافية. وهذا هو السر في أن كثيراً من الكوكبات تحمل أسماء حيوانات: كالجدي، والسرطان، والدجاجة، والدب، والفرس، والأسد، والعقرب. كما أن بعضها الآخر يحمل أسماء أبطال الأساطير العربية، أو الرومانية مثل (ذات الشعور) و (إبط الجوزاء) و (أوريون) و (هرقل) و(فرساوس).

وأنت إذا نظرت إلى السماء في ليلة صافية الأديم؛ ترى الآلاف من النجوم ترصِّع قبة السماء، بدرجات متفاوتة من اللمعان، ويمكنك الإطلاع على أحد أطالس النجوم، لمعرفة أسماء الكوكبات التي تراها وتمييز أشهر نجومها.

دائرة البروج:

مجموعات النجوم ـ الكوكبات ـ التي تظهر خلف مدار الشمس الظاهري (Ecliptic) الذي يميل على خط الاستواء بمقدار ٥,٢٣° تسمى البروج. ويحدها شريط عرضه (٩°) على جانبي مدار الشمس،

ولو قسمنا هذا الشريط إلى ١٢ قسماً؛ تحتل الشمس كل شهر قسماً منه، ويظهر في كل شهر برج ذو شكل مميز على الترتيب من اليوم ٢١ إلى اليوم ٢٠ من الشهر التالي: (برج الحمل: من ٢١ مارس إلى ٢٠ أبريل، ثم الثور، ثم الجوزاء، السرطان، الأسد، العذراء، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت).

مجرة درب التبانة:

يمكن أن نقول بأن الشمس وما حولنا من نجوم تقع داخل (جزيرة نجمية) يطلق عليها اسم «المجرة»: (Galaxy)! ولكي نتصور جزيرتنا النجمية (درب التبانة) نشبهها بقرص عظيم القطر، منتفخ عند المنتصف، فيشبه بذلك القرص المستخدم في الألعاب الرياضية، أو هي كصفحتين متعاكستين من صحاف الطعام.

ولهذا الشكل الخيالي محوران، المحور الطولي، ويبلغ طوله ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية، أما المحور الرأسي؛ فيبلغ طوله ١٠,٠٠٠ سنة ضوئية، ولك أن تتخيل مقدار اتساع هذه المجرة بتحويل كل سنة ضوئية إلى ٦ مليون مليون (بليون) ميل.

وتقع الشمس على المحور الطولي بعيداً عن مركز هذه المجرة، على مسافة ٣٠,٠٠٠ سنة ضوئية من هذا المركز، أي: إنَّ موقعها يقسم المحور الطولي بنسبة ٤ : ١.

ولك أن تتخيل عدد النجوم التي تحويها هذه الجزيرة النجمية، أو المجرة، إنَّ هذا العدد يقرب من مليون بليون نجم. ولقد ظن القدامى: أنَّ حشد النجوم الذي يشبه الوشاح هو نهاية الكون، لكن عندما كبرت المراصد؛ تبين خطأ هذا الظن، وتبين وجود مئات، بل آلاف المجرات

الأخرى خارج مجرتنا . وشبه القدامى نجوم هذا الوشاح بطريق سقط عليه اللبن ، أو تناثرت عليه حبات التبن ، فلمعت ، وأسموه : (درب التبانة) .

المحطة الكونية الخامسة: المجرات:



ومن مجموعات النجوم تتكون المجرات، أو الجزر الكونية، أو (لبنات الكون)، ولقد تحقق رصد كثير من المجرات خارج مجرتنا المنتهية بسكة التبانة، على مسافات تتراوح بين مليون، وبليون سنة ضوئية. ثم زادت هذه المسافات بفضل زيادة عدسات ومرايا المراصد الفلكية، وزادت أكثر بفضل إطلاق المراصد الفلكية عام ١٩٧٣م على متن معمل السماء الأمريكي (سكاي لاب) ثم المرصد الفلكي الفضائي (هابل) عام ١٩٩٠م، وأقرب المجرات إلينا هي مجرة السديم الأعظم

في كوكبة المرأة المسلسلة (Andromida)وتبعد عنا ٧٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية، وبها عدد من النجوم يقرب من عدد نجوم مجرتنا، والمجرات أشكال مختلفة، بعضها عدسي، وبعضها حلزوني، أو لولبي، وبعضها دائري. ولقد حفز اكتشاف مزيد من المجرات، كثيراً من العلماء إلى التفكير في نهاية الكون، وانجراف بعضهم إلى القول بأنه يمتد إلى (وهم) تصوروه، وأطلقوا عليه ما لا نهاية (Infinity) فكان مثلهم كمثل من وصف الماء بأنه الماء، إلا أن أينشتين أعطى في عام ١٩١٦م تصوراً لشكل الكون بأنه محدودب على نفسه كمثل الكرة، وإننا عاجزون حالياً عن إدراك نهايته الثابتة. وحدد لذلك معاملاً أطلق عليه: (ثابت أينشتين).

وكان ذلك مبنياً على افتراضات نظرية، وليس على قياسات، أو أسس عملية.

غير أن (أدوين هابل) الفلكي الأمريكي طلع على العالم في عام ١٩٢٥م بملاحظات ذكية عن المجرات، قوضت نظرية الكون الثابت، واعتمد على قياسات قام بها من (مرصد جبل ويلسون) الذي قطر مرآته ١٠٠ بوصة.

وقال بأن الكون يتمدَّد، ويتَّسع، وقد اعتمد في ذلك على رصد عدد كبير من السحب الكونية المسماة (السُدُم) (Nebulae) فقد اكتشف: أنَّها تتألف من نجوم متقاربة؛ ولذلك تبدو لنا متلاحقة، وقد كان صبوراً، ومثابراً، ونجح في رصد (١٠٣) سديم، حدد مواقعها بدقة، وصنفها، وحدد شدة إضاءتها، وأبعادها في أطلس خاص، وحلل بجهاز الطيف (Spectroscope) أضواءها لمعرفة مادتها.

وقد تحقق (هابل) من ظاهرة (ابتعاد المجرات) بزيادة المسافات بينها، أي: اتساع الكون، أو تمدده، برصد ٤٠ مجرة.

وتحقق قول الحق في القرآن: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذّاريَات: ٤٧].

وبذلك أطاح هابل بنظرية الكون الثابت لأينشتين، والتي استنام لها العلماء مدة طويلة، وأصبح لديه الإجابة الشافية عن وجود الظلام الذي يضرب أطنابه على ٩٩٪ من الفضاء الكوني بين المجرات؛ إذ إن مادة هذه الجزر الكونية، لا تمثل أكثر من ١٪ من حجم الكون!! وبالتالي يمكن تصور حجم هذا الكون المهول الذي خلقه الله تعالى.

واستطاع هابل أن يحدد بحسابات رياضية: أنَّ هناك معاملاً رياضياً لتمدد الكون، واتساعه، وأطلق عليه الرياضيون اسم: (معامل هابل)، واستطاع بذلك أن يرجع إلى الماضي، وحدد عمر الكون بأنه بين ١٥ ـ ٢٠ مليار سنة.

وعلى درب هابل انطلق علماء آخرون، وأعطوا تفسيراً لاستمرار تمدد، واتساع الكون، بأن كل مجرة يتولد منها (جنين) ينطلق من رحم (المجرة الأم)، ويبتعد عنها بعد حين في صورة سحابة دخانية. واستطاع بعضهم بواسطة المرصد الأريوي في (نيومكسيكو) اكتشاف مجرات في طور التكوين، يبلغ حجمها ثلاثة أمثال حجم مجرتنا، وقاسوا عمرها فوجدوه ١٢ بليون سنة. وتؤيد: أنَّ عمر الكون يقرب من ١٥ بليون سنة، وأن الكون ماض في الاتساع والتمدُّد. وفي كل عام تفرز ملايين النجوم، وتتشكل من مادة أصلها (الدخان السحابي من السدم).

وعلى ضوء هذه الحقائق عادت إلى أذهان العلماء نظرية الانفجار العظيم (Big Bang) التي أعطت تصوراً قديماً عن نشأة الكون في بدايته نتيجة حدوث انفجار هائل في كتلة من المادة، تفرقت منها كتل سحابية ضخمة في مختلف الاتجاهات، بدأت تتشكل منها النجوم، وتتكون من مجموعاتها المجرات.

وفي عام ١٩٨٩م أطلقت أمريكا القمر الصناعي كوب Cobe) (Cosmic Background Explorer على مدار ارتفاعه ٦٥٠ كيلو متراً فوق الأرض؛ لإجراء قياسات حرارية غاية في الحساسية، للأضواء الصادرة من النجوم، والمجرَّات، واستطاع أن يسجل فروقاً في درجات الحرارة حتى ١/ ٣٠٠٠٠ من الدرجة المئوية بين نجمين مختلفين. فالفرق في درجتين بين نجمين يعطي الدلالة بنظرية (دوبلر) (Doppler) على اتجاه حركة كل منهما بالنسبة للآخر.

ومنذ إطلاق القمر (كوب) حتى مايو ١٩٩٢م استطاع إجراء زهاء (٤٥٠) مليون عملية قياس، ورصد لدرجات حرارة النجوم، أخضعت وكالة (ناسا) أغلبها لمجموعات من العلماء لتحليلها، فوجدوا: أنَّ المعلومات الحرارية لأجرام كونية على بعد (٩،٤ ×١٠ ٢١) مليون كيلو متر، أي: حوالي ١٠ تريليون كيلو متر. ومعنى ذلك: أنَّ المادة التي تشكل أجرام الكون تمتد إلى هذه المسافة الشاسعة، وتتألف منها المجرات البعيدة. ومعنى اختلاف درجات الحرارة: أنَّ هناك فروقاً زمنية بين بدء تشكيل كل منها، وهذا برهان دامغ على أن الكون يتمدد.

وما زالت الاكتشافات تتوالى، ففي ١٧ يناير ١٩٩٦م أعلنت (ناسا) أن تلسكوب الفضاء هابل ما زال يكتشف مئات المجرات الجديدة

التي لم يسبق رؤيتها؛ لأنها شديدة الشحوب، وذلك بالتوغل إلى أعماق سحيقة، وصلت إلى أكثر من ٥٠٠ سنة ضوئية بعداً عن الأرض. وصرح عالم متخصص: أنَّ لدينا صوراً عن (١٥٠٠) مجرة على الأقل في مراحل مختلفة من التكوين. وهذا ما دعا الفلكي الأمريكي الملحد (اسموت) إلى الإيمان بالله، بعد أن رجع القمر (كوب) القهقرى بالزمن ٣٠٠ ألف سنة وعشر دقائق وثانية واحدة. إلى لحظة بدء نشأة الكون، إلى لحظة بدء الخلق، أي: لحظة إرادة الله التي كانت ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

وفي ٢٠ يناير ١٩٩٦م أعلن عن كشف كوكبين جديدين خارج المنظومة الشمسية، على بعد ٣٥ سنة ضوئية من الأرض، باعتبار أن بيئتهما دافئة بدرجة تسمح بوجود الماء سائلاً، يقع الأول في كوكبة العذراء، والثاني في كوكبة الدب الأكبر(١).

أقوال في الإيمان بوجود الخالق:

هناك بعض الأقوال المهمة لعلماء آمنوا بوجود الخالق، وهي أقوال مهمة في هذا الباب على أنَّ إيمانهم لا يقبل إلا بإسلامهم، كما هو معلوم.

لنذكر أولاً إحصائية قام بها العالم دينرت(٢) عن كبار العلماء، والفلاسفة في القرون الأربعة الأخيرة، وكان عددهم ٢٩٠ عالماً، فوجد ما يلي: ٢٨ منهم لم يصلوا إلى عقيدة ما. و٢٤٢ أعلنوا إيمانهم

(١) نقلت هذا المقال بتصرف من موقع الأستاذ عبدالدايم الكحيل من شبكة المعلومات.

(٢) قال المؤلف: نقلاً عن كتاب روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص٨٢ (معظم الفقرات).

على رؤوس الأشهاد و ٢٠ لم يكونوا يبالون بالوجهة الدينية، وهذا يعني: أنَّ ٩٢٪ أظهروا إيمانهم أمام الناس، وهذا ما يثبت المقولة التي هي أن العلم والطب هما من جملة محاريب الإيمان، ولنسمع إلى أقوال بعض العلماء في هذا الصدد:

١ـ الطبيب المشهور باستور:

«الإيمان لا يمنع أيَّ ارتقاء كان، لأن كل ترق يبيِّن، ويسجل الاتساق البادي في مخلوقات الله، ولو كنت علمت أكثر مما أعلم اليوم، لكان إيماني بالله أشدَّ، وأعمق ممَّا هو عليه الآن».

ثم عقب عليه بقوله: إن العلم الصحيح لا يمكن أن يكون مادياً، ولكنه على خلاف ذلك، يؤدي إلى زيادة العلم بالله، لأنه يدل بواسطة تحليل الكون على مهارة، وتبصر، وكمال عقل الحكمة التي خلقت الناموس المدبّر للوجود كمالاً لا حدَّ له.

٢ـ وقال الفلكي الكبير فاي العضو بأكاديمية العلوم في مؤلفه: أصل العلوم:

من الخطأ الاعتقاد: أنَّ العلم يؤدي إلى الكفر، ولا إلى المادية، أو يفضي إلى التشكيك.

٣ـ وقد سُئل الدكتور أندروكونواي ايفي[1] من أحد رجال الأعمال هذا السؤال: سمعت: أنَّ معظم المشتغلين بالعلوم ملحدون، فهل هذا صحيح؟

(١) من العلماء البارزين ذوي الشهرة العالمية، يشغل حالياً وظيفة أستاذ قسم الفسيولوجيا ورئيس قسم العلوم بكلية الطب بجامعة شيكاغو.

فأجابه قائلاً :

إنني لا أعتقد : أنَّ هذا القول صحيح. بل إنني ـ على نقيض ذلك ـ وجدت في قراءتي، ومناقشاتي : أنَّ معظم من اشتغلوا في ميدان العلوم من العباقرة لم يكونوا ملحدين، و لكن الناس أساؤوا نقل أحاديثهم، أو أساؤوا فهمهم، ثم استطرد قائلاً : إن الإلحاد، أو الإلحاد المادي، يتعارض مع الطريقة التي لا يمكن أن توجد آلة دون صانع، ومعظم رجال العلوم يقومون بأعمالهم حباً في المعرفة، وفي الناس، وفي الله عزَّ وجلَّ. ونقل عن الدكتور البرت ماكوت ومشتر قوله :

إن اشتغالي بالعلوم قد دعم إيماني بالله؛ حتى صار أشدَّ قوة، وأمتن أساسا مما كان عليه من قبل. ليس من شك : أنَّ العلوم تزيد الإنسان تبصراً بقدرة الله وجلاله، وكلما اكتشف الإنسان جديداً في دائرة بحثه، ودراسته ازداد إيماناً بالله جلَّ جلاله.

٤ـ وننقل عن اللورد كلفن[١] قوله :

إذا فكرت تفكيرا عميقاً؛ فإن العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد في وجود الله تعالى[٢].

٥ـ يقول الدكتور ارفنج وليم[٣] :

إنني اعتقد في وجود الله سبحانه؛ لأني لا أستطيع أن أتصور : أنَّ المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور الإلكترونات، والبروتونات

---

(١) من علماء الطبيعة البارزين في العالم.

(٢) عن كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص ١٥٢.

(٣) أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة ميشيغان، وعالج الفراغ اختصاصي في وراثة النباتات ودراسة شكلها الظاهري.

الأولى، أو الذرات الأولى، أو الأحماض الأمينية الأولى، أو البروتوبلازم الأول، أو البذرة الأولى، أو العقل الأول، إنني أعتقد في وجود الله، لأن وجود الله هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التي نشاهدها[١].

٦ـ ويقول الدكتور واين اولت[٢]:

أما النظريات التي ترمي إلى تفسير الكون تفسيراً آلياً؛ فإنها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون، ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى إلى محض المصادفة، فالمصادفة هنا: فكرة يستعاض بها عن فكرة وجود الله بقصد إكمال الصورة، والبعد بها عن التشويه، ولكن حتى بغض النظر عن الاعتبارات الدينية عامة، نجد: أنَّ فكرة وجود الله أقرب إلى العقل، والمنطق من فكرة الصدفة، ولا شك، بل إنَّ ذلك النظام البديع الذي يسود الكون يدل دلالة حتمية على وجود إله منظم، وليس على وجود مصادفة عمياء، تخبط خبط عشواء[٣].

٧ـ ويتساءل العلامة أ. كريسي مورسون[٤] **عن سر الحياة، وهل هي من صنع المادة؟**

إنَّ المتفق عليه ليس البيئة وحدها، ولا المادة كانت ملائمة للحياة، ولا أيُّ اتفاق في الظروف الكيميائية، والطبيعية قد تخلقه المصادفة لا يمكنها أن تأتي بالحياة إلي الوجود، ويقول: فالحياة هي المصدر

(١) عن كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص٥٦.
(٢) عضو الجمعية الجيولوجية الأمريكية.
(٣) عن كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص ١٣٣ ـ ١٣٤.
(٤) الرئيس الأسبق لأكاديمية العلوم في نيويورك.

الوحيد للوعي، والشعور، وهي وحدها التي ندرك بها صنع الله، ويبهرنا جماله، وإن كانت أعيينا لا تزال فوقها غشاوة[(١)(٢)].

٨ـ الدكتور وتز عميد كلية الطب في باريس، وعضو أكاديمية العلوم، وكيميائي:

«إذا أحسست ـ في حين من الأحيان ـ أن عقيدتي بالله قد تزعزعت؛ وجهت وجهي إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها».

٩ـ باسكال:

«صنفان فقط من الناس يجوز أن نسميهم عقلاء: الذين يعرفون الله، والذين يجدّون في البحث عنه؛ لأنهم لا يعرفونه».

١٠ـ أينشتاين:

«إن الإيمان هو أقوى، وأنبل نتائج البحوث العلمية»

«إن الإيمان بلا علم ليمشي مشية الأعرج، وإن العلم بلا إيمان ليتلمس تلمس الأعمى».

١١ـ ادمون هربرت، جيولوجي ذائع الصيت، مدرس بجامعة السوربون:

«العلم لا يمكن أن يؤدي إلى الكفر، ولا إلى المادية، ولا يفضي إلى التشكيك».

١٢ـ فابر: العلامة المؤرخ الطبيعي:

«كل عهد له أهواء جنونية، وإني أعتبر الكفر بالله من الأهواء الجنونية، وهو مرض العهد الحالي، وأيسر عندي أن ينزعوا جلدي من أن ينزعوا مني العقيدة بالله».

---

(١) عن كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص ٩٦.

(٢) هذه النقولات نقلتها بتصرف من موقع الأستاذ عبدالدايم الكحيل في شبكة المعلومات.

١٣ـ ألبرت ماكوب ونشستر: أستاذ الأحياء بجامعة بايلور، وعميد أكاديمية العلوم بفلوريدا سابقاً:

«إن اشتغالي بالعلوم قد دعم إيماني بالله؛ حتى صار أشدَّ قوةً، وأمتن أساساً مما كان عليه من قبل، ليس من شك: أنَّ العلوم تزيد الإنسان تبصراً بقدرة الله وجلاله، وكلما اكتشف الإنسان جديداً في دائرة بحثه، ودراسته؛ ازداد إيماناً بالله».

١٤ـ إسحق نيوتن:

«إن هذا التفرع في الكائنات، وما فيها من ترتيب أجزائها، ومقوماتها، وتناسبها مع غيرها، ومع الزمان، والمكان لا يمكن أن تصدر إلا من حكيم عليم»(١).

وأقول:

إن هذا الإيمان الذي تكلم عنه أولئك لا يتمُّ لهم إلا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والبراءة من الوثنيات التي اختلطت بها النصرانية الأولى، لكن المسلمين مقصِّرون أشد التقصير في إيضاح هذا الأمر لغيرهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون!

---

(١) «الطب محراب الإيمان»: ١/ ٢٥٢-٢٥٨.

المبحث الخامس

كلام لأهل الأدب نظماً ونثراً
في بيان شيء من عظمته تعالى وجلّ وعز

المبحث الخامس
كلام لأهل الأدب نظماً ونثراً
في بيان شيء من عظمته تعالى وجلّ وعز

قال حازم القرطاجني:

سبحانه مَن سبحته ألسن الأمم
تسبيحَ حمد بما أولى من النعم
سبحان من سبحته ألسنٌ عرفت
بأن تسبيحه من أفضل العِصَم
سبحان من سبحت حمداً ملائكةٌ
له بلا فَتْرة تَعْرُوْ ولا سَأَمِ(١)
سبحان من سبحت شمس النهار له
والبدر بدر الدُجى والشُهْبُ في االظُلَمِ
سبحان من سبح الليل البهيم له
والصبحُ سبح يبدي ثغر مبتسم
سبحان من جعل الدنيا وصورتها
مثل الخيال سرى والعيشَ كالحلم
سبحان من جعل الدنيا محببة
مُلْتذةً مع ما فيها من الألم

(١) الفترة: الانقطاع. تعرو: تلحق.

سبحان من حبب الأخرى لطائفة
سمت إلى أشرف الدارين بالهمم
سبحان مَن كلُّ حين في الوجود له
إعدام موجود أو إيجاد منعدم
سبحان من خلق الإنسان من علق
ورده بعد أمشاج إلى رمم
سبحان من ينشر الموتى ويبعثهم
للفصل ما بين ظَلّام ومُظَّلِمِ
سبحان من بينهم بالعدل يحكم في
يوم به ليس غيرُ الله من حكم
سبحان من جَلّ في سلطانه وعلا
عن أن يُرى معه حكم لمحتكم
سبحان من ألهم العبد السعيد لما
أضحى إليه الشقي غير مُلْتهم
سبحان من ضلل الأشقى بمعصية
فظل عن طرق التوفيق وهو عَمِ
سبحان من إن يشأْ يَجْزِ المسيء وإن
يشأ عفا عن كبير الإثم واللممِ
سبحان من لم يُحِطْ خلق به وله
إحاطة بجميع الخلق كلهمِ

وقال الشيخ أبو الحسن البكري رحمه الله تعالى[١]:

وقع النداء لنا ألست بربكم
قلنا بلى وأجابت الذرّات

شهد الشهود وأثبت القاضي على
إشهادكم وتسجّل الإثبات

وعلى قديم العهد نحن إلى اللِقا
هيهات أن تتحوّل الحالات

واهاً على أحوال قوم أعرضوا
عن بابكم كم فاتهم خيرات

من احتمى يوماً بغير حماكم
حلّت به الآفات والهَلَكات

فيا نائمين تيقظوا من نومكم
لم يبق من قرب الحبيب سبات

يا معرضين عن الكريم تعرضوا
فلربكم في دهركم نفحات

خلوا الغرور فكل شيء هالك
لا شك إلا الله والطاعات

أين الجبابرة الفراعنة التي
ضاقت لعِظَم جيوشها الفَلَوات[٢]

(١) «المختار المصون»: ٢/ ٧٩٠.

(٢) جمع فلاة، وهي الصحراء.

أين الملوك السالفون ومدحهم
أين البنود السود والرايات
بل أين ذو القرنين من دانت له
الآفاق والبلدان والظلمات
أين المعارف أين إخوان الصفا
والإخوة الأنساب والأخوات
جُز في ديارهم وسائل عنهمُ
يخبرك أنهم جميعاً ماتوا
لله كم تحت الثرى من أمّة
راحت وملءُ فؤادها حسرات
كانوا وكانت في الحمى أوقاتهم
ماتوا وماتت مَعْهُمُ الأوقات
يبكي الزمان عليهمُ متأسفاً
وتفيض من أجفانه العبرات
بالأمس كانوا في المنازل كلهم
واليوم هم تحت التراب رفات
ثم الصلاة على النبي وآله
ما دامت الأزمان والساعات

وقال أبو نواس، رحمه الله:

تأمل في رياض الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليكُ

عـــيـــون مـــن لُـــجـــيـــن شـــاخـــصـــات

بـــأهـــداب هـــي الـــذهـــب الـــســـبـــيـــكُ

عـــلـــى قُـــضُـــب الـــزَبَـــرْجَـــد شـــاهـــدات

بـــأن الله لـــيـــس لـــه شـــريـــكُ



خاتمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده ـ جل جلاله ـ أن وفقني لتسطير شيء من عظمته، ونزر من جلاله، فلولاه ما خطَّ اليراع، ولا جرى القلم، ومن أنا ـ المخلوق الحقير الضعيف ـ حتى أكتب عن عظمة ربِّ العالمين؟! فيا ليت شعري! هل يقبل الله تعالى ما كتبته؟ وهل يثيبني عليه يوم العرض إذا جئته؟ وأنا أعلم أني بما كتبت قد حاولت شيئاً عظيماً، وأتيت على بحرٍ لا ساحل له، وأمرٍ لا نهاية له، فو الله! مهما كتب الكاتبون، ونقل الناقلون، فما هم إلا كمغترفين بدلاء من بحر خضم؛ لكن حسبي أَنْ أُدرَج في قافلة مَن كتب، وأُوصل على ذلك من المغفرة بسبب، وأرجو من الله تعالى المثوبة يوم القيامة، واللهُ العظيم هو المستعان، وعليه التكلان.

وصل اللهم! وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

❊ القرآن العظيم الكريم.

❊ «التحبير في التذكير» الإمام عبدالكريم القشيري (ت ٤٦٥). تحقيق د. إبراهيم بسيوني. نشر مكتبة عالم الفكر. القاهرة. سنة ١٩٩٣/١٤١٤.

❊ «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» للشيخ محمد بن عبدالرحمن المباركفوري. ضبط عبدالرحمن عثمان. نشر دار الفكر.

❊ سنن أبي داوود.

❊ سنن الترمذي.

❊ «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد.

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. نشر دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.

❊ صحيح الإمام البخاري.

❊ صحيح الإمام مسلم.

❊ «الطب محراب الإيمان»: د. خالص جلبي. نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة سنة ١٤٠٧هـ.

❊ «العلم يدعو للإيمان»: كريسي موريسون: ترجمة الأستاذ محمود صالح الفلكي، واسم الكتاب في الأصل: (الإنسان لا يقوم وحده).

❊ (العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها) للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨). تحقيق عبدالله بن صالح البراك. نشر وزارة الشؤون الإسلامية. الرياض.

❊ (في ظلال القرآن) سيد قطب، دار الشروق، القاهرة.

❊ (النهاية في غريب الحديث والأثر) للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري. تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي. توزيع دار الباز. مكة المكرمة.